روايات احلام

كلمة السّر

روايات احلام

كلمة السر لا

... وقال اليوت آبكوت كلمته : يجب ان تكوني لي ! وكان كلمته اصبحت قدرها ... فكرت نيفين بجنون : يا إلهي ... لم يسبق أن حدث لي مثل هذا الاستسلام الغامر للمشاعر ... طالما كانت قوية وقادرة ، ولكنها الآن تشعر أن عينيها تخونانها ، يديها تخونانها ؛ وقلبها يخونها ، فأين المفر ؟

ألا يكفي اليوت أن يكون المسؤول عن تحطيم زواج أخيها حتى يسعى إلى تحطيمها هي أيضاً ؟

لم يكن سهلاً على نيفين أن تتخذ قراراً في مواجهة جاذبية اليوت المتفوقة ، لذلك كان إعلانها لموقفها بمثابة حكم بالإعدام ، لكن على من ؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١,٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

liilas
rayqh

١ ـ يجب أن تكوني لي

كان طول قامة الرجل الغريب هو أول ما لفت نظر نيڤين.. إضافة إلى الطريقة التي كانت تستقطب فيها الشمس الإنكليزية الباردة ذلك البريق من الرأس الأسمر المرتفع بثقة.

تصاعد الهتاف المفاجىء من الجمع ليجذب اهتمامها بعيداً عن الغريب الطويل القامة.. وعمدت يداها النحيلتان إلى التصفيق، فيما كانت فتاة صغيرة محمرّة الوجه تحاول إبعاد جوادها الصغير عن الحلبة بشيء من الوقار.. كانت دايان فارسة محترفة وسيجعلها فشلها في قفزتين متتاليتين متوترة لمدة يومين. لكنها على أي حال لن تكون ممتنة لأية مؤاساة علنية.

انتقلت عينا نيڤين الزرقاوان القاتمتان لتنظرا إلى الجمع وكان معظمه من الأمهات، ما عدا بضع أفراد مثلها يمثّلون الأهالي الذين لم يتمكنوا من المجيء إلى هنا.. وبدا الجميع متشابهاً أمام عينيّ نيڤين الناقدتين. تنانير جيدة التفصيل، سترات سميكة، مناديل رأس مربوطة في وجه الريح الخفيفة المزعجة، حتى أن الجميع بدا وكأنه يرتدي بزة موحّدة.. حتى السيدة هاملتون، والدة دايان، وربة عمل نيڤين وهي امرأة أنيقة جداً، كانت منسجمة مع الجمع.

لاحظت عينا نيڤين الجوالتان المرأة المسنة التي كانت تحمي

3tt3.net

بكل سعادة الرجل الغريب، وتبتسم بإشراق في وجهه الأسمر الصارم، بتقدير ظاهر.

انحنى الرأس الأسمر ولمع البياض مع ابتسامته، وقال شيئاً دعا كيرين هاملتون والامرأتين معها إلى الانفجار بالضحك. ومررت ديليا غاردنر، اللايدي غاردنر يدها على ذراعه بتملك، لتؤكد على أنها مرافقته.

اشتدت خطوط فم نيڤين وهي تلاحظ الميزات الجسدية التي كانت تصيب كل امرأة ضمن دائرته. كان جسده الرشيق شِرَاكاً للإغواء بحد ذاته وينشر وجهه جاذبية مخيفة بكل قسماته الكلاسيكية المكتملة باستثناء الأنف المقوس المتعجرف والفم المتشدد الذي لا يعرف معنىً للتنازل.. إلى أن ابتسم وتحولت القساوة عندها إلى سحر رجولي ملتهب.

ابتلعت نيڤين ريقها، تعي اشتداد أعصابها الغريب إذ لا يصل المرء إلى سن الخامسة والعشرين دون تجربة تجاذب. ذلك النداء من جنس إلى آخر الذي يدل على الحيوية. من الغباء أن تصدمها قوة طبيعية عمياء أساسها التجاذب الصرف. لكن ابتسامة الرجل بذلت أموراً جمة.. وتحولت جاذبيته الباردة إلى حياة نشيطة.

كان لنيڤين أسباب هامة حتى لا تثق بمثل هذه الإثارة المفاجئة، وقوّمت كتفيها لتتغير تعابير وجهها إلى حالة عدم اكتراث ولا مبالاة.

كانت حركتها المفاجئة، أو أشعة الشمس الناعمة على موجات شعرها البرونزي، هي التي لفتت اهتمامه.. فتركزت عيناه الغريبتا التركيب بمزيج من اللونين الأخضر والذهبي عليها، لتتفحصاها ببرودة وشمولية.. وعانت نيڤين من شراسة العينين. وكادت تتكمش وهما تقيسان وجهها من الحاجبين المجنّحين حتى قمة

الذقن التي ورثتها هي وأخيها عن والدها.. وتفحصت نظرة الغريب استدارة ثغرها الرقيق، وشعرها المتموّج، ونقاط النمش الخفيفة الظاهرة على أنفها المستقيم، وخطوط عنقها الجميلة.

لم تعكر صفو جمال وجهه أية مشاعر.. كان يمكن أن يكون مجرد قناع برونزي ملتفت نحوها، مع ذلك ارتجفت خائفة.. حدقا للحظات طويلة ببعضهما عبر الهواء المشحون بطاقة حقل كهربائية ولوّنت شعلة نار ملتهبة خديها.. كشفت البشرة البيضاء تصاعد الدم بسرعة تحتها.. وراقبت بدورها مذهولة انتشار الاحمرار تحت لونه الأسمر، كردّ على احمرارها.

كانت عيناه عبر المسافة المتوترة بينهما ترسلان رسالة بكل تأثيرات وذبذبات اللايزر.

تأثرت مشاعرها وهي تستجمع إرادتها لتستدير عنه، كان ذلك مع معرفتها أنها حين تتذكره ستتذكر فقط قوة الرجل فيه وليس جماله.

ووقعت لحسن الحظ عيناها المرتبكتان على جسد في ثياب الفروسية متجهاً نحوها عبر الجموع.. فحملت مشدوهة وبارتياح صغرى بنات عائلة هاملتون التي كانت تقفز بغير ارتياح في عربتها:

ـ تعالي حبيبتي، فلنذهب للقاء دايان.

هبطت درجات السلم وهي تحمل أونا كدرع أمامها مسرعة إلى دايان.. التي، وككل محبي الجياد، بدأت تخبرها كيف خذلت جوادها الصغير.. كانت لا تزال في أوج انطلاقها في الشرح حين انضمت إليهما أمها بعد دقائق، لتقاطعها بخشونة:

ـ لقد انتهى هذا الآن. يجد الجميع بعض الصعوبات في البداية.. أليس كذلك نيڤين؟

3tt3.net

ابتسمت نيڤين:

ـ لا أعرف. فأنا لم أمارس رياضة القفز من قبل. ولكن كالعادة يجب أن نقع في الأخطاء ونتخطاها لنتعلم منها.

هزّت السيدة هاملتون رأسها بينما فقد وجه دايان نظرة الحزن.. وقالت:

ـ نيڤين على حق طبعاً.. حتى ولو كانت لا تعرف الركوب. يفترض الناس بطريقة ما أن كل نيوزيلندي هو مولود على سرج جواد.. لكنك فتاة مدينة، ألست هكذا؟

ـ هذا صحيح.. ومن أكبر مدن نيوزيلندا.

ـ لا تبدو لي كبيرة جداً لتُبقي البوت آريكوت مشغولاً..

وأشارت السيدة برأسها إلى الغريب الجريء، الواقف الآن مع اللايدي غاردنر وزوجها، مالك القصر المحلي، وأكملت:

ـ لاحظي.. إنه كالقوى الطبيعية أكثر منه رجلاً.. وهذا ما قد يفسّر سبب وجود مصالح له في جميع أنحاء العالم.

ـ وهل هو من أوكلاند؟

ـ أجل، جدّه وجدّ غاردنر أخوان.

أخفت نيڤين دهشتها بابتسامة، مذهولة كالعادة لتشعبات النظام الاجتماعي الذي لم تفهمه يوماً، رغم الثلاث سنوات التي أمضتها في المملكة المتحدة.

لاحظت كيرين دهشتها وضحكت:

ـ أوه.. أنتم أهل المستعمرات؟ تبدون دائماً مندهشين حائرين حين تضبطون عنصريتنا.. أرفض تصديق أنكم لا تملكون نوعاً من نظام الطبقات في جنتكم الاستوائية.

ردت نيڤين بخفة:

ـ بالطبع لدينا.. لكنه ليس نظاماً متشدداً هكذا.

ارتفعت كتف السيدة هاملتون النحيلة..

ـ أوه.. حسن جداً.. ظننت أن البوت آريكوت معروف لك.. إنه مشهور جداً، حتى هنا، وليس فقط بسبب جماله.

ـ هل هو ممثل؟

ردّت بدهشة:

ـ أبداً.. أعتقد أنه ما يعرف «بالمقاول الوسيط».

مرت عينا نيڤين بالرأس الأسمر المرتفع بعجرفة فوق كتفين عريضتين: حقاً؟

ـ حقاً.. ألا يعجبك المقاولون؟

ردّت نيڤين:

ـ لم ألتق يوماً بمقاولٍ وسيط.. أليسوا ممّن يشترون الأعمال ويسلبون ألعاب المستخدمين القدامى فيها؟ سالبي الممتلكات، أو أشياء أخرى كهذه؟

كانت نيڤين تتعمد التضليل آملة أن تفهم ربة عملها أنها تكره الرجل بدل أن تكون منجذبة نحوه بشكل لا يطاق.. لكن كيرين قالت:

ـ أظن أن الأمر أكثر من هذا.. إنه يشبه جمع المال والأفكار والخبرة.. على أي حال نيڤين إنه ذكي جداً. خدم نفسه كثيراً.

ـ أصدقك.

ـ إنه رجل ساحر.. تريده ديليا غاردنر أن يبقى لأكثر من ليلة واحدة، لكنه صدّها. وعلّقت مازحة على المرأة التي تركها في لندن، التي يبدو أنها إنسانة مذهلة ورائعة الجمال، لكنها لا تحب الريف.. على أي حال، ديليا تلقت توبيخاً مهذباً. إنها امرأة سخيفة

3tt3.net

ولكنها فهمت رسالته.

لم يكن من عادة كيرين الثرثرة، ولم تكن تنتظر رداً.. بل استدارت على الفور لتسأل دايان عن الفارس الذي يجري الآن في الحلبة.. وقررت نيڤين وهي تنقل الطفلة أونا من ورك إلى آخر، أن ما تفوّهت به السيدة هاملتون كان غريباً. فهي بطريقة ما لاحظت ردّة فعلها وأوصلت لها تحذيراً بأن البوت آبكوت ليس حراً.

حسناً.. لن تراه مجدداً.

لم تندهش مع ذلك أبداً حين قالت لها كيرين بعد الظهر إن ديليا غاردنر اتصلت لتسأل ما إذا كانت نيڤين ترغب في أن تأتي معهم إلى حفلتها تلك الليلة والتي تقول إنها حفلة عفوية.

كان الوقت وقت احتساء فنجان الشاي للطفلة.. وفتحت أونا فمها لتدسّ نيڤين ملعقة الطعام فيه.. وأحست بالغضب لأن يدها ارتجفت، وقالت باختصار:

ـ آمل أن تكوني قد اعتذرت لها لأن الطفلة بحاجة إلى من يبقى معها.

ـ لا.. بل أظهرت رغبتك في الذهاب.. وستكون السيدة وينتر سعيدة جداً برعايتها ومن الأفضل لك أن تلتقي بشخص من بلادك حتى ولو كنت لا تعرفينه جيداً.

رفعت نيڤين رأسها بحدة تقابل نظرة مخدومتها بقلق، وقالت ببطء:

ـ أنت لطيفة جداً.. وعلى الأرجح محقة.

ـ غالباً ما أكون محقة.. ولن أقلق على تصرفات ديليا لو كنت مكانك.. إنها لا تقصد جرح مشاعر أحد.. ارتدي ثوباً جميلاً، ذلك الفستان النحاسي اللون سيناسبك كثيراً، وتمتعي بوقتك..

تعرفين معظم من سيكون هناك.

أجل إنها تعرفهم، لكن ليس اجتماعياً.. على أي حالٍ أحست نيڤين بالفضول وبشيء من الحذر.. فستعطيها حفلة في «تشايس» شيئاً لتكتب عنه في رسالتها القادمة إلى موطنها.. وهزت رأسها موافقة. ثم تحول تفكيرها إلى رسالة أمها التي وصلتها ذلك الصباح.. فلولا معرفتها الأكيدة لافترضت بأن مسيرة الحياة هناك تدور بطريقة مرضية. لكنها تتذكر رسائل أخرى مماثلة ومرحة ظاهرياً، إنها رسائل كتبتها أمها لتخفي قلبها المحطم... رسائل من امرأة تركها زوجها سعياً وراء امرأة أصغر منها سناً.. فكريستوبل ستيوارت ابتدعت ذلك الأسلوب لتخفي الحقيقة عن ابنتها كي تتمكن من إكمال امتحانات دخول الجامعة دون أدنى ضغوطات..

تكدّرت كالعادة وهي تفكر بأبيها.. إلى أن اشتكت الصغيرة أونا، التي أجبرتها على إظهار ابتسامة وضمتها إليها.. قائلة بلطف وكأنما لتطمئن نفسها:

ـ كان هذا منذ زمن بعيد.. وانتهى.. لكن.. أوه.. كم أتمنى لو أعرف ماذا يقلق أمي.

لكنها لا تستطيع فعل شيء لها.. الاثنا عشر ألف ميل التي تفصلهما يمكن أن تكون كالأبدية.. غضبت فجأة من نفسها لوعدها بالبقاء مع عائلة هاملتون خمسة أشهر أخرى.. كانت متأكدة من واقع أن أمها لديها جوفري وتيفاني ليدعماها.

كان جوفري من النوع الذي يعتمد عليه تماماً، كان نِعم الأخ الكبير، متحفظاً قليلاً، إنما يُعتمد عليه تماماً. وكانت زوجته رغم تحفظها لطيفة كذلك. التقتها مرة نيڤين حين جاءا إلى لندن لقضاء

3tt3.net

شهر العسل.. كان يمكن لجوفري أن يختار امرأة أكثر دقة وأكثر عفوية، لكنه كان مغرماً جداً بجمالها الفتان، وتعرف نيڤين أن مسارات القلب ليست دائماً مفهومة.. ثم ضحكت وضمّت أونا قائلة بحبور:

ـ لقد ولى كل شيء عصفورتي الصغيرة.. لم يبق شيء.

ابتسمت لها الصغيرة وصفقت قبل أن تمدّ لها ذراعيها.. وفكّت نيڤين رباط الكرسي الخاص بالأطفال:

ـ تعالي حلوتي.. آن وقت الاغتسال، ثم اللعب مع مامي، وبعدها الفراش!

فيما بعد.. ناسبها الفستان النحاسي كثيراً.. ورشت قليلاً من عطر «فيرست» على عنقها ومعصميها. كان اللون النحاسي يعطي الإشراق لبشرتها الشاحبة.. ويلف القماش الحريري كامل قدّها الرشيق بإحكام، لكن تصميمه كان بسيطاً بحيث لن تبرز كثيراً.. قد تمضي سهرة لطيفة، وتستطيع إذا التقت ضيف الشرف بحث أشياء خاصة بنيوزيلاند، كالخراف، والركبي، وتسلّق الجبال..

استقبلتها لسوء حظها، رغم قرارها بالابتعاد وعدم الاختلاط بالموجودين قدر المستطاع، اللايدي غاردنر وكأنها صديقة طال بعادها عنها، وقدمتها إلى إليوت آبكوت:

ـ اليوت متلهف جداً للقائك نيڤين.. لقد وصفك بدقة حتى أنني عرفت للتو من أنت.

تركزت نظرتها على طول جسم نيڤين الرشيق بما يكفي من معنى ليرفع لون الغضب إلى وجه ضحيتها.

رفعت نيڤين نظرها إلى وجه اليوت الوسيم، لكنها لم ترَ فيه شيئاً سوى التقدير المتحفظ.. فمهما كانت وقاحة تقييمه لها، إلا

أنه لم يُفصح شيئاً الآن، واتبع كلام مضيفته بإحناء رأسه كياسةً مما جعل غضب نيڤين يبرد.

خفف الزوجان هاملتون واليوت من حرارة الموقف بلباقة، كان يمكنها أن تجعل اللايدي غاردنر تخجل من تصرفها.. لكن هذا لم يحدث. وبقيت راسخة في ذاكرتها حين تحرك الزوجان مصطحبين نيڤين معهما، ابتسامة اللايدي غاردنر الخبيثة وعيناها الحالمتان الزرقاوان.

كان أول الأمسية ممتعاً.. وتكفلت اللباقة نفسها التي لا تتعب بمنع أي دهشة لارتفاع الدرجة الاجتماعية بالنسبة لموظفة آل هاملتون. ووجدت نفسها بعد قليل تحاور زوجين شابين، لهما أقارب في نيوزيلندا ويفكران بالسفر إلى هناك في عطلة، وقد كانا متشوقين للمعلومات.

وقدمت نيڤين لهما كل ما يرغبان به، تاركة العنان لشوقها إلى وطنها، واستطاعت المضي في مسعاها بنجاح إلى أن لاحظت أنها فقدت اهتمام المرأة كلياً.. ونظر الزوجان إلى خلفها بعينين متسعتين.

وقع الصوت العميق باللكنة النيوزيلندية بألم في أذني نيڤين، حين حيّاهما اليوت آبكوت بالاسم. وقفت دون أن تنظر إليه، تراقبه وهو يسحر الزوجين.. إنه يحتاج دون شك في مهنته إلى ذاكرة ممتازة ويساعده السحر على ذلك.

لم تندهش حين وجدت نفسها بعد قليل وحيدة معه معزولة عن الآخرين.. واضطرت في الواقع للإعجاب بالطريقة البارعة التي ابتعد فيها وعزلها معه عن الزوجين. وقالت:

ـ إنجاز رائع.. أراهن أنك لا تواجه أية متاعب في اجتماعات

3tt3.net

مجالس الإدارة.

ضحك لها مقدراً سخريتها:

- القليل جداً لا أستطيع التعامل معه، والآن من أي جزء من نيوزيلندا أنتِ؟

السؤال المعتاد.

- من أوكلاند.. على أي حال، لم أذهب إلى هناك منذ سنوات.

- تحصلين على خبرتك في الخارج؟

- أجل.

أمضت نصف هذه الأعوام كممرضة في مخيّم لاجئين في الشرق الأقصى، لكنه لن يهتم بهذا فاللاجئون يحرجون أكثر الناس ويشعرون بالذنب لقلة ما يستطيعون أن يفعلوا لهم، ولا يريدون سماع قصص الأطفال المتضورين جوعاً أو الذين يموتون من الأمراض.

- متى تعودين إلى الوطن؟

قالت بهزة كتف صغيرة، ودون أن تنظر إليه:

- في الخريف المقبل.. فقد وعدت ربة عملي أن ألازمها إلى أن تصبح الطفلة في السنة الأولى من عمرها.

- حين حملتها اليوم ظننتها لك.

شدّ شيء في عمق صوته نظرها إليه، وأحست بأسى فوري للعمق المتوقد الغريب الكامن في عينيه.

- لقد أدهشتني دقة وصفك لي أمام اللايدي غاردنر.. أم أنك لا تهتم ما إذا كانت المرأة متزوجة أم لا؟

- أوه.. بل أهتم. لكن وجود طفل لا يعني أبداً الزواج..

فهناك دائماً احتمال أنك انفصلت عن والده.

سألت باهتمام جاد:

- وهل تفعل هذا دائماً؟ ما فهمته أنك ستبقى هنا ليلة واحدة فقط، وقيل لي إن لك حبيبة تنتظرك في لندن.. ألا يمكنك قضاء ليلة واحدة بمفردك؟

أصبح غضبه واضحاً في عينيه.. امتلأ الوجه الوسيم فجأة بمظهر التسلط الذي يبعث بالرعب إلى قلب الكثيرين من مدراء الشركات، حسناً، لكن ليس أنا.. وتصلبت نيقين مدافعة.

- كل هذا لأنني وصفتك بدقة.. أنا آسف.. فقد قلت لها أيضاً بأنك تملكين شعراً بلون أوراق أشجار المطاط الجديدة، وثغراً رقيقاً مستديراً، ويتناسب طولك تماماً مع رجل طويل مثلي.. وأن نتوء ذقنك يعطيك جواً من العناد الساحر.

رفع بدفء إصبعاً لوّحته الشمس، ومرّره بدقة على شق ذقنها يلمسه بحب.

أحست نيقين يضيق في حنجرتها.. وحذّرتها آخر ذرة من عقلها أن تتعقل حتى لا تبدو حمقاء تماماً.. وتصلبت تحدق مشدوهة في وجهه: بينما كان يبتسم لها بثقة رجل يعرف قدرته على تحطيم القلوب، فتمتمت:

- أراهن أنك لم تقل لها كل هذا.

- قد أكون نسيت سهواً بعض الأوصاف.. فأنا لم أقل لها مثلاً بأن عينيك تلمعان بلون البريق على جناح طائر العسل الأسود، أو ان هناك تماني نمشات على أنفك المتعجرف الصغير. ولم أقل لها مثلاً إن خصرك نحيل ومستدير.. لم أقل لها كذلك إنني اكتشفت للتوّ بنفسي قدرة مذهلة على الخيال، وإنني في اللحظات القصيرة ما بين

3tt3.net

رؤيتك لأول مرة والآن أجهدت هذه المخيلة! وأستطيع القول أن دبليا كانت ستفهم كل هذا، لكن لها تلك العادة السيئة في البوح بالحقيقة عند أكثر اللحظات إرباكاً. عدا عن أنني فضلت قول كل هذا لك بنفسي شخصياً.

وتابع يمرر إصبعه على وجنتها ثم على قوس حاجبها المجنح.. فكرت بجنون.. يا إلهي.. هذا لم يحدث لي من قبل، كل هذا الاستسلام الغامر للأحاسيس.. لطالما كانت قوية وقادرة.

وتساءلت: هل هذه المشاعر المتدفقة هي التي انتزعت والدها من أمها؟ وحل التفهم المرير مكان الاحتقار الذي أحست به بسبب علاقته بامرأة تصغره بعشرين سنة، كان في تلك اللحظة اليوت آبكوت مسيطراً عليها تماماً.. منطقه البارد يسيطر على تفكيرها ويشله.

لم لاحظت بريق الانتصار في عينيه.. فتراجعت بسرعة إلى الوراء لتقول بخشونة:

ـ جميل جداً سيد آبكوت. لكن لسوء الحظ لست في مزاج لأن تسلبني لبي ببضع كلمات شاعرية لهذه الليلة.

توقعت منه الغضب والتوتر لنبذها له. لكنه ابتسم متفهماً ذعرها، ثم أمسك يدها قائلاً:

ـ إذن، فلتر إذا كان بإمكاني هذا برقصي.

حاولت التخلص منه لكنه كان مستعداً لها، فاشتدت أصابعه على ذراعها حتى صاحت ألماً. فقال:

ـ آسف.. هل آلمتك؟

لم يكن آسفاً، ويعرف أنه لم يؤلمها كثيراً.. وكانت متوترة أكثر من أن تلحظ النظرات الموجهة إليهما في الغرفة، ثم أدارها بين

ذراعيه، واعترفت لنفسها أنها خافت حقاً.. يا إلهي، ما الذي حصل لدماغي!

ـ متى ستعود إلى الوطن؟

أجل.. هذا هو صوتها.. أحنى رأسه ليرد عليها همساً:

ـ بعد أسبوعين.

خيّم صمت متوتر.. ثم أكمل:

ـ تعالي معي إلى لندن.

إذن، إنه يحاول إغراءها!

ـ ماذا عن حبيبتك؟

ـ أوه.. يا إلهي.. إنها ليست مهمة.. لم يعد أي شيء مهم ما عدا هذا.

قادها بطريقة ما إلى زاوية معزولة.. وأدركت فيما بعد، بعد أن استعادت وعيها وعقلها، أن مثل تلك الخبرة في اكتشاف مثل تلك الزوايا تتحدث بنفسها عن خبرة كبيرة.

قال من بين أنفاسه:

ـ ابقي معي.. لنعد إلى نيوزيلندا معاً.

هزت رأسها نفياً فهمس:

ـ أرجوك.. أرجوك نيفين، أحتاج إليك.

ـ تعرف أنني لا أستطيع.

لمعت عيناه الذهبيتان الخضراوان أمام عينيها..

ـ كل ما أعرفه أن هذا لم يحدث لي من قبل.. فمنذ أن نظرت إليك أحسست بأنني خرجت من هذا الزمن، هذا البعد، إلى حيث القيم الرومانسية الثمينة الحقيقية.. الحب من النظرة الأولى.. كنت سأحبك حتى لو كنت متزوجة.. مع العلم بأنني من الرجال الذين

3tt3.net

يشعرون بالازدراء الكبير تجاه من يقيم علاقة مع نساء متزوجات! يجب أن تكوني لي.. لكنك تخيفينني..

تلاشى صوته وهو يصرّح عما في نفسه، وكأنه لا يجرؤ على مواجهة ما يقوله.. وقاومت نيڤين بشراسة لتسيطر على دوامة المشاعر في داخلها. وتمكنت من أن تهمس:

ـ إذن.. دعني وشأني.. لا أريد كل هذا.. ثم إن لديك مسؤولية نحو المرأة التي تنتظرك في لندن.

تمتم بشيء قصير وحاد من بين أنفاسه، ثم دفعها عنه:

ـ لن أدعك تهربين مني بسهولة.. لم أعد أستطيع الرقص معك.. لكن هناك أشياء أخرى نستطيع القيام بها لملء الوقت.. أريد أن أتعرف إليك.

سارت معه إلى غرفة لا يرغب فيها الناس بالرقص، إنما يشغلون أنفسهم بالحديث..

قال لها:

ـ استرخي.. تبدين وكأن شخصاً لكمك على معدتك.

تمكنت أن تبتسم رداً وأن ترتاح لأنها قادرة على تركه بين هذا الجمع.. هكذا حيّت مضيفهما وتقبّلت إطراءه ثم انتظرت فرصة للخلاص.

سنحت لها فرص كثيرة لكنها لم تصل إلى نتيجة.. فقد كان اليوت يراقبها بعينين حذرتين ليبقيها إلى جانبه. وحيّت الزوجين هاملتون حين وصلا بابتسامة وكأنها تتوسل العون.

قالت كيرين، وعيناها الماكرتان متسليتان إنما متعاطفتان بشكل غريب:

ـ نحن ذاهبان الآن.

مزجت نيڤين التعب مع الندم لتقول:

ـ أنا مستعدة للذهاب.

وتحركت لتبعد نفسها عن اليوت.

لكن ما من أحد يغافل اليوت آبكوت.. وجاء إلى السيارة معهم، وأمسك، قبل أن يُجلس نيڤين في المقعد الخلفي، بكلتي يديها.

قال والسخرية تخبىء تياراً من المشاعر:

ـ إلى اللقاء مرة أخرى..

صاحت نيڤين باضطراب شديد: وداعاً.

وانطلقت السيارة وجاءتها من المقعد الأمامي ضحكة كيرين لتوتر أعصابها وهي تقول:

ـ يا له من أسلوب.. يا إلهي.. يمتلك الرجل كل شيء!!

ما عدا الاستقامة.. لذعت المرارة حلق نيڤين ودمعت عيناها متحررة أخيراً من سحر تلك الرجولة الغامرة، وتمكنت من الفهم بوضوح أي نوع من القذرين هو.. لقد قال: «يجب أن تكوني لي» وهو مصمم على تحقيق رغباته الأنانية، حتى أنه لم يأخذ مشاعرها بعين الاعتبار.

الحمد لله لأنه عائد إلى لندن في اليوم التالي!

أمضت الليل تحاول بجهد كبير أن تنام وتفشل.. وراقبت بامتنان كبير السماء تنير، وسمعت تذمرات أونا.

أراحها الروتين اليومي.. وأدخل في نفسها ما يكفي من الهدوء لتمحو من ذاكرتها أحداث الليلة الماضية التي لم تتمكن من السيطرة عليها في ساعات الأرق في فراشها. وبدد لسوء الحظ هدوؤها وصول الخادمة اليومية التي بدت مهتمة، وقالت لها مبتسمة:

ـ هناك رجل على الهاتف يطلبك.. تبدو لهجته مشابهة للهجتك.

وضعت نيڤين فنجان قهوتها من يدها.. وأيقنت بأنه سيتصل بها قبل مغادرته «تشايس». التقطت بتعابير عنيدة السماعة:

ـ نيڤين؟ كيف كان نومك؟

ـ كالأموات.

كانت ضحكته منخفضة ومليئة بالمعرفة..

ـ كاذبة! لأنني أنا لم أستطع النوم كذلك.. فلم أتوقف عن التفكير فيك، متى أستطيع أن أراك؟

ردت بجرأة:

ـ لن تستطيع، وأنا أعني ما أقول اليوت.. لا أريد أي شيء له علاقة بك.

اختفى المرح من صوته العميق، وبدا قلقاً:

ـ أمرٌ مؤسف.. لماذا؟

ـ لأنك تخيفني.

ـ وأنا أخيف نفسي.. وأنت تكادين تخيفينني حتى الموت، لكن أفضل الطرق للشفاء من الخوف هو مواجهته.. متى سأراك ثانية إذن؟ أعرف أن لديك في نهاية هذا الأسبوع...

ـ لا.. ولا إلى الأبد.. أبداً.. لا أريد أية صلة معك.. أو مع أمثالك من الرجال.

سألها بوضوح ناعم:

ـ ومن أي الرجال أنا؟

ارتجفت نيڤين لكنها أكملت:

ـ رجل يخلط ما بين امرأة وأخرى.. ويحاول إقناعي أنها

ليست مهمة وهذا لن يساعد في قضيتك معي.

ـ نيڤين..

نطق باسمها مجدداً وبدون عاطفة، ولم تستطع أن تقفل السماعة.. أكمل:

ـ نيڤين.. لن أدع الأمر ينتهي هكذا، ما بيننا كائناً ما يكون شيء لم أعرفه من قبل، وأريد أن أعرفه مهما كان اعتراضك، فلا تجبريني على استعمال القوة.

عضت على شفتها حتى آلمتها:

ـ لا تظن أبداً أنك قادر على تهديدي إلى أن أستسلم لك.

ـ تهديد، قوة، رشوة، ابتزاز، لا يهمني أبداً كيف أفعل هذا، فأنا أريدك...

ـ لا!

تمكنت هذه المرة من إقفال السماعة في وجهه بقوة. وقالت في المطبخ للسيدة وينتر:

ـ أرجو أن تذكري وجودي حين يتصل بي أحد إلى المنزل، وسآخذ الطفلة الآن لألقحها عند الطبيب.

ـ وإذا جاء يزورك؟

ـ قولي له إنك لا تعرفين مكان وجودي.. أرجوك.

ـ تعرفين مصلحتك أفضل مني. حسن جداً، سأقول له.

كانت السيدة هاملتون قد سافرت إلى لندن للقضاء يومها تاركة لنيڤين سيارة صغيرة.. كانت تتوقع رؤية اليوت في أية لحظة، لذا حملت أونا وحقيبة الضروريات ووضعتهما في السيارة وانطلقت على عجل.. وكأنه فعل.. وحاولت بهذه الفكرة العودة إلى روحها المرحة.

3tt3.net

بقيت أفكارها تدور حوله طوال وقت انتظارها لتلقيح أونا.. حتى وهي تحاول مؤاساتها بعد تلقي الحقنة. وهمست لها بنعومة:

ـ هيا حبيبتي.. اهدئي.. لعبتي.. لقد آن وقت الذهاب إلى المنزل.. توقفي عن البكاء!

كانت الخادمة قد غادرت حين وصلت نيڤين إلى المنزل وتركت لها مغلفاً قرب إبريق الماء.. ولم تكن بحاجة لأن تقرأ ما كتب عليه لتعرف من كتبه.. لقد جاء! أنتِ مجنونة! هذا ما كتبته السيدة وينتر.

صنعت نيڤين لنفسها كوباً من الشاي بعد أن ساعدت أونا في تناول طعامها، ووضعتها في الفراش ناعسة.

فتحت الرسالة لتقرأ محتواها..

«نيڤين.. لقد عنيت ما قلته لك.. أفضل كثيراً عدم استخدام القوة لكن لو اضطررت فسأجدك ولو كان هذا يعني أن أجوب الدنيا كلها طولاً وعرضاً. توسلت إليك ليلة أمس إنما في المرة القادمة سأستعمل القوة» وأنهى رسالته مدوّناً عنوانه في فندق «كوناوث» مع رقم الهاتف.

سحقت الورقة بين يديها ورمتها في سلة المهملات. إنه لا شيء، مجرد رجل مغرور عابث عنيد، يطلق تهديدات لا يستطيع بلا شك تنفيذها.. ورفضها له جَرَح كرامته ولا يعرف كيف سيتعامل مع هذا.. ولم تستطع إلا أن تتذكر اليأس الذي كان يتوسل فيه إليها كي تذهب معه.. بدا مسيطراً على نفسه حتى في تلك اللحظات بكرامة وعجرفة أخافتاها. بدا لها من غير المعقول أن يستسلم رجل مثله إلى جاذبية مجنونة.. مهما كانت.

***

٢ ـ حكم الإعدام

لم يقل لها أحد من عائلة هاملتون شيئاً عن البوت آيكوت.. وكانت نيڤين شاكرة لهذا، فقد كانت تكابد بمشقة لإبعاده عن تفكيرها دون أية مداخلات خارجية..

لهذا غار قلبها ساعة التقت باللايدي غاردنر خارج متجر القرية بعد بضعة أيام.. وكان عليها أن تشدّ عزيمتها لتلتقي بالابتسامة المتوترة التي حيتها بها، والخبث الذي كان دائم الوجود على تعابير المرأة الأكبر سناً.. وسألت دايان التي كانت تراقق نيڤين:

ـ ماذا كنتما تشتريان دايان؟

ـ هدية عيد ميلاد نيڤين.. ستصبح في الخامسة والعشرين يوم السبت المقبل.

ـ آه، يا لها من مناسبة! وكيف ستحتفل بها؟

ـ ستسافر إلى لندن.. ستتناول العشاء مع أصدقاء لها لكنهم لم يختاروا المطعم بعد ونيڤين لا تعرف الكثير من المطاعم في لندن.

ارتسمت ابتسامة اللايدي غاردنر في عينيها الزرقاوين.

ـ مطعم «ادريان» مكان ممتاز للعشاء.. أسعاره معتدلة والطعام ممتاز فيه.

علقت كيرين هاملتون على الحديث بعد أن ذكرته لها ابنتها..

3tt3.net

- «ادريان».. أجل على الأرجح ستتمتعين به نيڤين.. يقوم بصنع الطعام الإنكليزي وبعض الأطباق المحلية الجيدة، والسلمون الرائع، ولحم الطرائد.

اتصلت نيڤين بصديقتها صوفيا كرمبتون، التي تنظم لها الاحتفال في لندن، وبادرتها صوفيا بحماس:

- أوه.. أجل! قرأت مقالة تصف طعامهم.. سأحجز طاولة منذ اليوم.

صباح السبت أوصلتها السيدة هاملتون إلى محطة القطار مع تعليمات مشدّدة بأن تتمتع بعيد ميلادها.. ولوحت لها نيڤين حين انطلق القطار، ثم عادت إلى مقعدها.. سعيدة بتوقعات الحرية ليومين.

وصلتها هدية من أمها في نيوزيلندا، وبطاقة معايدة من جوفري فيها شيك.. كانت الرسالة محبة بما يكفي، لكن دون أي دليل على أن زوجته تيفاني لها علاقة بها، وهذا أمر غير اعتيادي من جوفري..

كانت صوفيا تنتظرها، خصلات شعرها تضيء في المحطة المكتظة:

- لقد فقدتِ من وزنك أيتها الملعونة! لكن لا تجرؤي على اتباع الحمية في الثماني والأربعين ساعة القادمة!

في الشقة التي تتشارك فيها صوفيا مع ثلاث فتيات أخريات، كان هناك اثنتان مسافرتان لقضاء عطلة الأسبوع، وواحدة مبتعدة عن الأخريات في غرفتها، واحتستا القهوة وأخبرتا بعضهما عن أخبار الوطن واستعدتا للسهر.

نادت صوفيا نيڤين من الحمام وهي تضع ظلال العيون:

- ظننت أنني رأيت زوجة جوفري منذ أيام في مخازن هارولد..

لكنني لم أستطع الاقتراب منها.. فالمحل كان مزدحماً كعادته.. لكن لها نفس الشعر الأحمر الرائع.. وكانت في غرفة مهندس الديكور.

- ليس تيفاني.. فجوفري لم يكسب ثروة بعد.

ملست نيڤين فستانها.. إنه رائع! ينسدل القماش الأزرق برقة على قدها.. وهو تصميم آخر لا زمن محدد له، بأكمامه الطويلة، وبياقته المشابهة لياقة القميص، يتناسبان كلاهما مع طول قامتها.. ويزيد الحزام التركيز على خصرها النحيل.. واستخدمت لوناً ليلكياً مائلاً إلى الرمادي كظلال للعينين، مع قليل من الأحمر على خديها.

قالت صوفيا وهي مشرقة في فستانها الذهبي والأصفر:

- تسلبين اللب.. أوه لقد وصل الشابان.

والشابان أخوان إنكليزيان، كان الأكبر «جوزف جاكسون» صديقاً لصوفيا، أما شقيقه بيتر فقد كان يشبهه، طويل الجسم نحيله، وقد أعجبا نيڤين..

كان المطعم دافئاً ورائعاً.. فيه الخدمة ممتازة.. وأحضروا لهم المقبلات بسرعة قبل أن يتدارسوا لائحة الطعام بهدوء.. وقررت نيڤين أن كل ما يحيط بها هو بداية لعشاء ممتع.

استمرت الأمسية جيدة حتى قبل انتهائها بقليل. كانت صوفيا تستمتع بحلوى رائعة إلى أن نظرت من فوق كتف بيتر، وصاحت:

- نيڤين! أليست تلك..

رأت نيڤين ما شاهدته صوفيا، فشحب وجهها إلى درجة البياض.

صرخت صوفيا مرتعدة:

- نيڤين.. لا.. لا يمكنك افتعال فضيحة.

3tt3.net

وقفت نيڤين ساخطة وعيناها متسعتان في وجهها، وهي تراقب اليوت آبكوت ومن معه يرافقهما رئيس الخدم إلى طاولتهما.. وتأوهت صوفيا:

ـ أوه.. يا إلهي! أوه، أوقفها!

لكنها تأخرت فقد تحركت نيڤين كآلة مسيّرة تشق طريقها عبر الغرفة.. كانت مرتعبة، جسدها متوتر، في ألم مرير وغضب أشد مرارة.. ما من شيء بإمكانه إيقافها وهي تسير بين الطاولات.. على بعد قصير من الطاولة شاهدها من كان يجلس عليها.. ووقف اليوت وجهه منحوت كالصخر، لكن نيڤين تجاهلته تماماً.

قالت للمرأة الجميلة، صاحبة الشعر الأحمر، التي كانت تنظر إليها وكأنها خارجة لتوّها من الجحيم..

ـ مرحباً تيفاني.. أين جوفري؟

راقبت بعينين باردتين قاسيتين هبوط رموش زوجة أخيها بارتباك.. وقال اليوت بنعومة:

ـ اجلسي.

وشدها من ساعدها لتجلس.. لكنها كررت بشراسة:

ـ أين جوفري؟

ونظرت تيفاني ييأس إلى اليوت الذي قال:

ـ لقد تركته تيفاني يا نيڤين..

ـ لتكون عشيقتك؟ تلك التي قلت لي مرتين بأن لا أهمية لها؟

فرقع صوتها بضحكة عالية قائلة لتيفاني:

ـ كان هذا حين حاول التغرير بي..

قال اليوت:

ـ الأفضل أن تتناولي شيئاً تشربينه!

هزت نيڤين رأسها لتقول ببرودة:

ـ لقد أنهيت عشائي لتوّي. كان بإمكاني افتعال فضيحة لكنما أكبر من هذه ولست واثقة من قدرتك رغم حنكتك على التعامل معها.

قال متجهماً: حاولي، وسترين.

فكرت بهذا للحظات.. كان يكمن تحت الهدوء البارز غضب وحشي وحقود ولا يمكنها ترك العنان له، وإلا قتلهما معاً!

سألت بأدب: متى تركت جوفري؟

نظرت مرة أخرى تيفاني برعب إلى اليوت، فقالت نيڤين بحدة:

ـ ردي عليّ بنفسك.. أرجوك!

ـ منذ.. منذ شهر.

هزت نيڤين رأسها.

ـ في نفس الوقت الذي وصلتني فيه رسالة غامضة من أمي. هل تركته إلى الأبد أم أنك ستعودين بعد انتهاء فترة اللهو هذه؟

ـ نيڤين.. لأجل الله..

ـ أريد أن أعرف تيفاني.

تنهدت تيفاني بارتجاف: تركته إلى الأبد.

قالت نيڤين دون وخز ضمير:

ـ أرجو أن تكوني إذن قد حصلت على أكبر قدر من المال من عشيقك هذا.. لأنني لا أظن أن «منصبك» هذا آمن.

ـ هذا يكفي!

لم يرفع اليوت صوته لكنه فرقع كالسوط.. ومد يده مع ارتجاف شفتي تيفاني ليغطي يديها المرتجفتين بطريقة أثرت في نفس نيڤين كأمرّ نوع من الخيانة.

3tt3.net

نظر إلى نيفين:

- إذا أردت جرح أحد فجرّبي جرحي أنا.. لن يكون هذا سهلاً أو مرحاً لأنني أقسى بكثير من تيفاني.. مع ذلك أرحب بك لاستخدامي بديلاً عنها.. شرط أن تكوني مستعدة لتحمل النتائج.

ابتسمت بسخرية مُرّة:

- أيمكن لشيء أن يجرحك؟ مغرور مثلك لديه درع ضد أي شيء.. أليس كذلك؟ لماذا لا تعاني تيفاني من عذاب الضمير قليلاً؟ لا أظن أن جوفري يحس بالسعادة الآن.. وأضمن لك أنه لا يتناول طعامه في مكان كهذا ومع امرأة مجاملة مثلها.

وقفت لتواجه غضب اليوت بابتسامة باردة، وتجاهل كلاهما ترديد تيفاني لاسميهما.. وأكملت نيفين:

- أتمنى أن تتمتع بوقتك كما تمتعت أنا..

والتفتت لتحيّي الزوجين اللذين وصلا لجانبهم:

- لايدي غاردنر، لورد غاردنر.

وانطلقت عائدة إلى طاولتها بهدوء.

قالت صوفيا بسرعة:

- نحن مستعدون للذهاب.. ارفعي رأسك عالياً وابتسمي، وخذ ذراعها يا بيتر بطريقة طبيعية ودون أن تكون مبالغاً..

كان الشابان لطيفين يحميانها من عيون بقية الموجودين في المطعم.. وكانت نيفين شاكرة لهما بأكثر مما تستطيع التعبير عنه.

صرفت صوفيا في الشقة الرجلين وصنعت لنيفين قهوة وأجبرتها على أن ترتشفها ساخنة.. ثم قالت:

- ستشعرين بأنك أفضل حالاً لو غسلت وجهك.. وارتدي ثوب النوم.. ألديك صداع؟

- أجل لكنه سيزول، ولا أحتاج إلى أقراص ضد الألم.

أعدّت لها شاياً معطراً مع قليل من الليمون كما تحبه نيفين تماماً.. واحتسياه معاً بصمت إلى أن قالت صوفيا:

- أعتقد أنك كنت ستكتشفين الحقيقة عاجلاً أم آجلاً.. لكن ما هذا الحظ التعيس الذي جعلهما يختاران ذلك المطعم بالذات؟

خف الألم في رأس نيفين كثيراً.. ونظرت إلى صوفيا ضاحكة:

- لم يكن ذلك حظاً سيئاً.

وشرحت لها باختصار دور اللايدي غاردنر في اختيار مطعم تريان.

- لكنها لا تعرف تيفاني.. ولا أفهم.

- لقد عملت على أن يكون اليوت آبكوت هناك مع تيفاني، أي عشيقته.

- لكن.. أوه.. أوه! فهمت! بحق الله أين التقيت به؟ هناك؟ فهمت.. لا عجب أن تكوني متوترة هكذا.. صدقاً لقد أخفتني كثيراً، وكذلك أخفت تيفاني.. لقد بدت فعلاً مذعورة.. لقد بدوت كجلاد ينفذ حكم الإعدام..

اغرورقت عينا نيفين بالدموع، وشربت ما تبقى من الشاي، ثم نفخت أنفها ولفّت يديها حول ركبتيها لتقول بهدوء:

- كانت صدفة تعيسة أن تكون عشيقة اليوت آبكوت هي بالذات زوجة أخي.

وضعت صوفيا فنجانها من يدها:

- اليوت آبكوت.. إنه اسم شهير.. كان موس اليوت قرصاناً شهيراً في البحر الإسباني.. وحسب ما أذكر جيداً أصبح محترماً بعد

3tt3.net

عمر قضاه في الشر والقرصنة واليوت هذا يتمتع بمؤهلات جده.. إلى أي جد وقعت بحبائله يا نيفين؟

ـ حسن جداً.. لقد رفضت عروضه.

ـ لماذا بحق الله تريد اللايدي أن تُزعجك؟ أو أن تحرجك؟ تبدو لي سافلة!

ـ أظن، مما سمعته، أنها تحب العبث لمجرد التسلية فقط. وأظن أنها اعتقدت بأن اليوت سيوافقها على لعبها، وانزعجت لأنه لم يوافق.. وربما وجدت في هذا الموقف عقاباً لنا معاً.. فلو لم أقبل اقتراحها حول ادريان، ما كانت لتعرف أن نيفاني هي زوجة أخي.. وهذا ما أسميه بالحظ القذر.. أنا آسفة جداً لإفساد الأمسية.

قالت صوفيا شيئاً مختصراً ولطيفاً، حمل الابتسامة إلى شفتي نيفين الشاحبتين.. وقالت:

ـ يا إلهي.. لقد جعلت من نفسي حمقاء أمام الجميع!

ـ بالكاد لاحظك أحد.. أنت تعرفين أهل لندن.. لن يهتموا مهما حدث! وهذا ما يعجبني فيهم.

ساد صمت لم يقطعه سوى صوت مرور سيارة عن بعد، ثم قالت صوفيا: نيفين؟

ـ نعم؟

ـ ما الذي حدث بينك وبين اليوت آبكوت؟ إذ ليس من عادتك خسارة برودتك أمام رجل ما.

التوى فم نيفين:

ـ أظن أنه ما يدعى بالانجذاب من أول نظرة.. الأمر فظيع، وأحسست بالعجز.

ـ وهل أحسّ بنفس الإحساس نحوك؟

ـ قال هذا.. وأظنه.. أجل. أحس.

مرت فترة صمت أخرى، قاومت خلالها مشاعر الغيرة التي كانت تتآكلها.. لقد عانت الكثير حين رأت رأس اليوت الأسمر ينحني نحو رأس نيفاني.. وأصابعها الجميلة المزينة بالطلاء الأحمر ترتاح على ذراعه.. ساعتها، وكما الآن، صاح كيانها كله باحتجاج مرير.

صبّت صوفيا كوبين آخرين من الشاي.. وقالت نيفين في محاولة لإبعاد تفكيرها المعذّب:

ـ من الأفضل أن أتصل بأمي.. علّها تخبرني عن حال أخي.

ـ إنه مشتت ومعذّب كما أعتقد.

ـ أخشى هذا.. فقد كان مولهاً بحبها.. السافلة!

قالت صوفيا بتعقل أجش:

ـ إنه أفضل حالاً دونها.. صحيح أن هذه كلمة ثقال، لكنها الحقيقة.

ـ لقد مات أبي بتحطم قلبه. عاد حين تركته عشيقته زاحفاً إلى البيت كالكلب المسعور، وأخذ يذبل. كان يحبها لدرجة الهوس.

ـ وتظنين أن جوفري.. أوه نيفين.. أنا على ثقة بأنك مخطئة.

ـ يا إلهي! أتمنى هذا.. أقسم فيما لو حدث له مكروه بأنني سأقتل نيفاني.. واليوت آبكوت معها.

ـ أنت متعبة، ولا تعرفين ما تقولين.. تعالي، دعينا نذهب إلى الفراش.. ستبدو الأمور أفضل حالاً في الصباح.

تمكنت نيفين بالتدريج من إبعاد ذكرياتها ومشاعرها علّها ترتاح قليلاً من التوتر الذي سبّبه لها اليوت ونيفاني.. وساعدها في ذلك

3tt3.net

الفتاتان من آل هاملتون اللتان أصبحتا عزيزتين جداً على قلبها.

كانت رسالة أمها لها حول جوفري رسالة متفائلة.. حصل على أمر الطلاق، وما عليه الآن سوى الانتظار ستين قبل أن ينفذ الحكم بشكله النهائي. كان لا يزال يعمل بجهد كبير.. لكنه وجد مؤسسة كبيرة اهتمت بدعم آخر مبتكراته التي ستكون دفعاً كبيراً لمعنوياته. ولقد حصل جوفري على دخل جيد من تسجيل الكثير من اختراعاته الآلية، آخر اختراع له هو الأعظم.

ودّعت نيڤين في منتصف الخريف أونا ودايان.. وودّعت كذلك والديهما، وأدركت بارتياح أنها لن تضطر بعد الآن لرؤية اللايدي غاردنر أو أن تتحمل لؤمها وتعليقاتها الشريرة. حاولت المرأة مرات عديدة اجتذاب ردة فعل منها لكن نيڤين كانت في كل مرة تحدّق فيها بجرأة، وتعامل تطفلها بجدية هادئة إلى أن استسلمت.

ودّعت ما تبقى من أهل القرية الذين تعرفهم بشيء من الأسى، ثم سافرت إلى لندن مع كل شيء تملكه في حقيبة. وأمضت أسبوعاً محموماً تستعد لحفل زواج صوفيا إلى جوزف جاكسون، كانت فيه الوصيفة. ثم انتقلت لتسكن في نزل، لتحضر لسفرها إلى موطنها. وشغلت نفسها بين هذين الموعدين بالتفرج على معالم لندن، وتمتعت بأن تكون لوحدها، فالعزلة كانت تناسب مزاجها.

كانت في اليوم السابق لسفرها في طريقها إلى المعرض الوطني حين بدأت السماء تمطر، مما دعاها إلى دخول دار «نيوزيلند» فقررت الانتظار حتى انتهاء المطر.. والتقت هناك وهي تقرأ صحيفة من «ويلنغتون» بفتاة أمضت معها مرة نهاية أسبوع ممطرة تعيسة في نزل للشابات في «لايك ديستركت».

قالت الفتاة لها بعد التحيات المتعجبة المعتادة:

- أتعرفين أن هناك رسالة لك في النزل.. إنها هناك منذ مدة!

- لا! من الأفضل أن أذهب لأستلمها.. لطيف أن أراك مجدداً.

- وأنا كذلك.. أبلغي حبي للمسؤولة هناك، هل تسمحين؟

وعدت نيڤين مبتسمة أن تفعل، ثم اتجهت إلى النزل ووجدت المغلف قد اتسخ قليلاً.. وكانت الرسالة مركّزة على نقطة واحدة:

نيڤين.. أرجوك اتصلي بنيفاتي؟ ومعها رقم هاتف في لندن.

لزمها جهد كبير لمنع نفسها من تمزيق الرسالة.. واشتد ضغط قبضتها بألم. طوت الرسالة عدة مرات قبل أن تدسّها في جيبها، ثم اتجهت إلى غرفة الهاتف. وطلبت الرقم لتسمع صوت نيڤاني.

- نيڤين هنا، لقد استلمت رسالتك لتوي.. أهناك شيء خاطئ؟

- لا.. كدت أفقد الأمل في اتصالك بي. متى ستعودين إلى الوطن؟

ردت ببرودة:

- بعد الغد.. لماذا؟

- أريد رؤيتك.. الأمر مهم. ليس بالنسبة لك.. لكن بالنسبة لي.

- حسن جداً.. متى ألتقيك؟

- أيمكنك المجيء إلى هنا؟

- وهل الأمر ضروري؟

- أنا ألازم المنزل لأنني متوعّكة.. ولن تجدي صعوبة في الحصول على تاكسي يوصلك.

قالت ببرودة شديدة:

3tt3.net

- الناكسيات هي للأشخاص الذين يملكون مالاً كثيراً.. ما هي أقرب محطة أتاق لك؟

كان الانتقاد في محله، وبدأت تيفاني تقول شيئاً، ثم غيرت رأيها وأعطتها المعلومات، مقترحة أن تلتقيا عند شباك التذاكر التقتا.. وقالت تيفاني:

- كيف حالك نيفين؟

- بخير.. شكراً لك.

- شقتي على بعد دقائق من هنا.

ما إن دخلتا الشقة الصغيرة المؤثثة بلطف، حتى نظرت نيفين بسرعة حولها وأعادت نظرها إلى وجه تيفاني التي سألتها:

- أتبحثين عن البوت؟ إنه ليس هنا.

- لم أتوقع أن يكون هنا.

ابتسمت تيفاني بقسوة:

- أعرف.. لو فكرت أن هناك أي أمل ولو ضئيل في أن يكون هنا لما جئت. اجلسي وسأصنع القهوة.

أخذت تتكلم وهي تحضر القهوة عن عملها كاختصاصية تجميل وأنهت كلامها:

- ربما يبدو لك عملاً تافهاً، لكنني كنت أرغب دائماً أن أقوم به لأنني كرهت عرض الأزياء.. وأنا حقاً أتمتع به.. نحن نعمل كثيراً مع مرضى المستشفيات.. ويقول علماء النفس..

قاطعتها نيفين:

- لست بحاجة لأن تبرري نوع عملك لي..

- صحيح؟ إذن لماذا تنظرين إليّ وكأن عينيك تتألمان كلما رأيتني؟ ما رأيك بي نيفين.. حقاً؟

- وهل الأمر مهم؟

- لا.. ليس مهماً..

صبّت القهوة، وجلست تمعن النظر في عمق السائل الأسود:

- ما كان يجب أن أتزوج جوفري أبداً.. فأنا لم أحبه أبداً كما يستحق الحب.

- لماذا تزوجته إذن؟

تراقصت عدة كلمات من رسالة أمها في رأسها: «جوفري يبذل جهداً كبيراً.. لكنه فقد الكثير من وزنه.. ولا أظنه يأكل جيداً.. لقد انطوى على نفسه، أصبح معزولاً.. ويبدو وحيداً جداً».

صاحت تيفاني بغضب:

- لأنه كان.. كان.. كان في ذلك الوقت هو ما أحتاج إليه.. شخص أستطيع الاعتماد عليه.. ولقد أحبني فأحسست بالمسؤولية نحوه وبعرفان الجميل.. لم يكن يقصد أن يستخدم حبه كسلاح، لكنه كان يشعرني بالذنب لأنني لم أستطع أن أحبه كما أحبني.. وأعرف أنني كان يجب أن أكون قوية وأرفض الزواج منه.. لكنه أخذ زمام الأمور بيده ولم أضطر حتى للتفكير! كنت أحتاج إلى ذلك الاستقرار العميق الثابت كالصخر، الذي تمتلكه عائلتكم..

- لكن هذا الاستقرار شحب أمامك بسرعة.

ردّت بحذر:

- لقد حاولت.. ويعرف جوفري أنني كنت أحاول، وهذا ما كان يؤلمه.. كلكم متشددون خلف ذلك الجو الواقعي الذي تكرّسون أنفسكم له بكل تمسك بالدين.. حتى أمك. لقد حاول جوفري جاهداً أن يطمس غضبه وألمه. لكن المسألة كانت مسألة وقت قبل أن يتغلب غضبه على ألمه.. كنت أعرف أن هذا

3tt3.net

سيحدث، وأن كل التشدد ساعتها سينقلب ضدي.. وكنت خائفة.

ـ لا تقولي هذا لي! جوفري غير قادر على إيذاء..

وضعت تيفاني فنجانها بقوة كادت تكسره:

ـ أصغي إلي.. لجوفري نفس أطباعك.. عاجلاً أم آجلاً، كان مقدراً لتلك السيطرة على النفس أن تفلت، ولقد عانيت من حريقها.. أقول لك لأنني أعرف! قد أكون من النوع الذي تحتقرينه.. لكن لدي غريزة قوية للحفاظ على الذات. صحيح أن هذه الغريزة ضعفت قليلاً حين سمحت له أن يقنعني بالزواج، لكنها سرعان ما عادت إلى الحياة.. لجوفري نوع من الصلابة الحديدية التي تحطم الأقل منه شأناً، وهو قادر تماماً على تحطيم كل من يفشل في أن يكون من مقاييسه. لقد عشت معه وأعرفه.. ولست الأخت الصغيرة التي أحبها دائماً وحاول حمايتها.

قالت نيڤين ببرودة، وبداها ترتجفان:

ـ هذه طريقة غريبة لإيجاد الأعذار لنفسك.

احتست تيفاني قهوتها:

ـ حسناً، وماذا في محاولتي لتبرير نفسي؟ حين رأيتني مع اليوت نظرت إليّ وكأنني شيء كريه، شيء مقرف، ولم تستطيعي تحمل رؤيتي.. أخذت تنظرين من خلالي كأنني غير موجودة.. حتى حين تكلمت معي.

ـ أكان اليوت يعرف أنك متزوجة؟

توقفت أنفاس نيڤين وهي تنتظر الرد.. وقابلت تيفاني بمرارة دفاعية الازدراء الذي بدا قاتماً في عيني نيڤين:

ـ بالطبع لا.. ليس بداية. أقنعتني صديقة لي بأن أقوم بعرض أزياء في حفل خيري.. وكان هناك، ولم أكن أضع خاتم الزواج..

وتعلقت به منذ أول لقاء.. وحذّرتني صديقتي من أنه بكر وتحطيم أي زواج، لذا لم أقل له إلا بعد أن تركت جوفري.. وغضب حين اكتشف الحقيقة.

استطاعت نيڤين أن تتصور مدى تعلقها باليوت.. وقالت متعبة:

ـ لم يعد الأمر مهماً الآن.. لم يكن لي الحق أن أكون متعجرفة معك هكذا.. فهذا أمر لا يعنيني.

ضحكت تيفاني بخشونة:

ـ إذا كنت تصدقين هذا فأنت تصدقين أي شيء.. أكنت تعرفين أنه لم يخرج مع امرأة منذ أن غادر لندن؟ بالنسبة لاليوت، هذا سجل رائع.. إنه ينتظر عودتك إلى نيوزيلند.

أطبقت أسنان نيڤين على شفتها السفلى وقالت:

ـ هذا لا يرضي غروري.. ولا أصدقه.

ـ أنا أصدقه.. تبعث لي صديقة في أوكلاند، من نفس وسطه، بكل أخباره. عرفت أنه وجد امرأة أخرى عندما عاد من تشايس فقد كان مشغول الفكر، وأوضح أن كل شيء قد انتهى بيننا.. فأصررت على الذهاب معه إلى المطعم مع أنني أعرف أنه لم يعد يريدني معه.. أردت أن ألتقي بابن عمه علني أعرف من يلاحق.

أكملت تيفاني بصوت أجش:

ـ لقد استحقيت ما حصل لي.. فقد كاد يأكلك بعينيه، وكرهني لأنني كنت زوجة أخيك.. وكان هذا يعني أنك لن ترغبي أن يكون لك أي شأن معه.

قالت نيڤين وهي تفكر به:

ـ لقد تصرّف.. كوغد تماماً.

3tt3.net

لم تبدُ الكلمات مسلية أو قديمة الطراز.. ليس بالطريقة التي قالتها.. وارتجفت تيفاني للازدراء الكامن في الصوت والوجه.

ـ تبدين كقاض يلفظ حكم الإعدام.

بدأ المطر في الخارج ينهمر مرة أخرى.. وامتد صمت يخلو من التوتر ليشمل الشقة الصغيرة.. ثم قالت تيفاني:

ـ كان يعرف أنني أنوي التدرب لأكون خبيرة تجميل، ورتّب الأمر لي.. كان لطيفاً جداً، أعتقد أن هذا سببه لأنه أدرك عدم قدرته على لومي لكوني زوجة أخيك.. إنه متطفل جداً.

ـ بل إنه خنزير وقذر.

ـ لأنه يعبث مع النساء؟ وهكذا كان جوفري.. أتظنين أنه تزوجني وهو يطهارة الثلج؟ تعقّلي نيفين.. ألا زلت ساذجة؟

احمرّ وجه نيفين وثبتت نظرها على فنجان القهوة أمامها، وقالت:

ـ لا شأن للقيمي الأخلاقية في كل هذا.

ابتسمت تيفاني، وقالت ما لم تتوقعه نيفين:

ـ مسكين اليوت.. ومسكينة نيفين.. أنا، على الأقل، كنت أعرف كيف ستبتدىء العلاقة وكيف ستنتهي! لا يقع رجال مثل اليوت آيكوت في الحب.. على الأقل، ليس مع النوع الذي يرغب في الحب والسعادة إلى الأبد. إنهم يتزوجون لأسباب مادية، ولا يكون الإخلاص جزءاً من الصفقة.. ولا أعتقد أنه أحبّ عذراء من قبل.. فلديه مبادئه الخاصة.

لم تقل نيفين شيئاً، فما من شيء لتقوله.. عرفت منذ أول مرة لمحته أنه ليس أكثر من صياد مفترس، ناعم، جميل، وخطير.

أكملت تيفاني فجأة:

ـ لقد أنقذني.. كنت أريده، وقلت له كل الأشياء الغبية التي طالما خدعت النساء أنفسهن بها، وستجدين نفسك تفعلين هذا يوماً نيفين.. وستقولين لنفسك إن هذا هو الحب دون شك.. على الأقل، سيكون لك ذكريات.

ـ لست غبية إلى هذا الحد.. على أي حال.. من غير المحتمل أن أراه مجدداً.

ابتسمت تيفاني ساخرة:

ـ أستطيع القول إنه سيعرف الموعد المحدد لعودتك إلى أوكلاند.

ردّت نيفين:

ـ أنت مجنونة.

لكنها قلقت، وضحكت تيفاني ضحكة غريبة:

ـ أنا أعرف هذا الرجل جيداً، وقد رأيته كيف يتحرك، إنه لا يقبل بالهزيمة.. تذكري، حين يقول لك إنه يريدك، كيف سينتهي بك الأمر؟ لا أظنك قادرة على تحمّل علاقة عابرة.

ـ ليس أكثر من تحملك الزواج.

أجفلت تيفاني، لكنها تقبّلت الطعنة دون غضب:

ـ إذا كنت عذراء، فلا تنشبثي باليوت.. فالرجال مميّزون عن النساء.. قد يصرف جوفري غضبه في العمل، أو ربما يلجأ إلى فترة ضياع ليبرهن أنه نسيني.. لكن لا أظن أن أية امرأة تعني بهذا القدر لأليوت، كما يعني له عمله.. لا تدعي نفسك أسيرة كلامه المعسول فتصلي إلى علاقة ما.. لماذا تسعين للألم؟

كانتا قد قالتا كل ما خطر ببالهما.. ولدحظات تبادلتا النظرات على أمل أن تتوصلا إلى تفاهم غامض، ثم وقفت نيفين:

3tt3.net

ـ يجب أن أذهب.

سارتا معاً نحو محطة المترو تحت سماء قاتمة رمادية وقالت تيفاني بأسى:

ـ إنه الخريف.. يكاد يحل الصيف في الوطن الآن. هل ستسافرين رأساً إلى هناك؟

ـ كنت سأتوقف أسبوعاً في هاواي.. كانت تبدو لي فكرة جيدة.. لكنني الآن لا أريد سوى الوصول إلى الوطن.

ـ أوه.. ستتمتعين بإقامتك هناك متى وصلت.. استلقي على الشاطىء وأعيدي صقل لونك الأسمر البرونزي..

توقفتا عند مدخل المحطة، ومر بهما صمت مربك آخر.. وتأثرت نيڤين بالشجاعة المختبئة في نفس المرأة، فمالت فجأة تقبلها:

ـ وداعاً.. وحظاً سعيداً.

كان ذهول تيفاني ظاهراً ومخجلاً:

ـ وأنت كذلك.. ابقي لو استطعت على اتصال بي.. أخبري حوفري في الوقت المناسب أنني آسفة.. ليس لتركي إياه بل لزواجي به.

راقبتها نيڤين وهي تستدير لتسير في الشارع من حيث أتيا، ظهرها مستقيم وشعرها اللماع مختبىء تحت المنديل.. فكرت وهي تدخل المحطة بأن امرأة مثلها قد تذهب هكذا إلى المشنقة.

لم تسمح لنفسها بالتفكير جدياً بتحذير تيفاني لها إلا بعد أن عادت إلى غرفة نومها الصغيرة.. وتساءلت وهي مكتئبة دونما ارتياح في المقعد ما إذا كان اليوت آبكوت يريدها حقاً بما يكفي لملاحقتها كما أشارت تيفاني.. وأصابتها الفكرة بنصف إثارة،

ونصف خوف، واضطرت إلى إعادة الجزء المتعقل من دماغها إلى سكته الأصلية.

كانت الفكرة من وجهة النظر المنطقية لا يصدقها عقل.. فما يريده منها يمكنه الحصول عليه بسهولة في أي مكان.. فالوعد الأسود لجاذبيته ساحر بما يكفي ليجذب أية امرأة، ما عدا اللواتي يحبين غيره.. تلك الجاذبية الممزوجة مع شخصيته القوية تجعله لا يقاوم أبداً.

أيقنت بأن المنطق سيجبر اليوت على الإدراك بأن لا مستقبل لهما معاً.. لكن ولسوء الحظ بدا أن المنطق لا يملك مكاناً كبيراً في الجاذبية التي تشتعل بينهما..

إنها تحتقر كل شيء فيه كرجل.. مهووس يملك غريزة الصياد المفترس، وبرودة لا رحمة فيها.. سوف يكون من المستحيل عليها أن تشعر بأي شيء سوى الاحتقار لرجل تسبب بتحطيم قلب شقيقها.

* * *

3tt3.net

٣ ـ من أجل امرأة

ضمت نيقين أمها إلى صدرها لتجيب عن سؤالها:

ـ هونولولو كانت رائعة.. كلها زهور عطرة وغروب شمس وبعوض! ولقد أحببتها.

ـ لكنك مسرورة بعودتك إلى الوطن؟

ـ بل أرتعش طرباً.. مثلي مثل كل نيوزيلندي أنا مقتنعة أن بلادنا هي أفضل مكان في الكون كله.. تبدين بصحة جيدة أمي..

وركضت نحو أخيها:

ـ وأنت كذلك جوفري.

ابتسم بشير برأسه إلى حقيبتها:

ـ أهذا كل ما تملكين للسنوات التي غبت فيها؟

ـ وحقيبة الكتف.

ضحكوا جميعاً ليحل المرح مكان القلق البارد الذي يسعى كل منهم إلى إخفائه.. كانوا يبدون وكأنهم نسخة عن بعضهم البعض.. الثلاثة طوال القامة، نفس لون البشرة، ما عدا أن لجوفري لون بشرة أبيه الداكنة أكثر.. وللثلاثة عيون زرقاء قاتمة كلون السماء عند الفجر.. القسمات نفسها لكل وجه.

قالت نيقين بسرعة لإخفاء اضطرابها:

ـ شحنت في الواقع صندوقاً من الكلترا في الباخرة، فيه كل ثيابي الشتوية إضافة إلى هدايا تذكارية.

أحست فجأة بالحب والسعادة يغمرانها فابتسمت لهما بإشراق.. سيكون رائعاً أن تشبك ذراعها في ذراع أمها، لكن كريستوبل لم تجد من السهل يوماً أن تظهر حبها جسدياً.. وهكذا أقنعت نيقين نفسها باحتضان سريع آخر قبل القول بلهفة:

ـ هيا، فلنخرج من هنا.. لقد شاهدت ما يكفيني من مطارات في السنوات العشر الماضية.

كانت أوكلاند تشع تحت أشعة الشمس الربيعية الدافئة. وتمتعت نيقين وهم في سيارة جوفري القديمة المحبوبة جداً، الجاغوار، بالتناقض اللوني ما بين سطوح المنازل الحمراء في الضواحي، وبين خضرة الأشجار والمروج. كانت الحدائق مليئة بالزهور، مرصعة بالألوان، وكأنها عيون ملتمعة في الظل.

أرسلت نيقين وهي تتنهد سعيدة، نظرة سريعة إلى أخيها.. ولم يبدُ لها وكأن حياته تشتت.. كان له وجهاً هادئاً، صعب القراءة، بل من المستحيل معرفة ما يجري في دماغه الذكي والسريع.. لكنه الآن يبدو متعباً، وخطوط قسمات وجهه بارزة.

أعربت، تلك الليلة، السيدة ستيوارت عن قلقها لابنتها بعد مغادرة جوفري إلى شقته:

ـ إنه يعمل بجهد كبير.. وأنا قلقة عليه.

رفعت نيقين رأسها.. لم ترغب يوماً في أن تبحث أمور جوفري مع أمها.. وهذا دليل على قلقها. أخبرت أمها عن لقائها بتيفاني. ثم قالت باندفاع:

ـ وقابلت اليوت آبكوت كذلك.

نظرت كريستوبل بسرعة وحدة إلى وجه ابنتها المنحني إلى الأسفل.. كان خالياً من التعبير مثل وجه أخيها.. وهي تكبح تنهيدة

3tt3.net

سألت:

- كيف هو شكله؟

- ملاك أسود، شرير.

رفعت الأم حاجبها، فضحكت نيڤين وغطّت زلة لسانها بخفة:

- قرصان ضخم جريء، على طراز حديث.. ناعم وأنيق، وفائق الحنكة.. جذاب جداً، ويعرف هذا جيداً. رجل رائع.. يُخفي خلف كل هذا البريق نوعاً من السخرية تخيفني جداً.

- أوه.. يا إلهي.. رجل خطير.. أعتقد بأنه وتيفاني لم يعودا معاً؟

التوى فم نيڤين بسخرية متوهشة:

- لا.. لقد انتهى الأمر بينهما.. بعد أن أتن لها شقة.. إنها شلة صغيرة لطيفة.. وهي تتدرّب لتصبح خبيرة تجميل.. وعرفت أنه هو الذي يصرف على تدريبها.

- لطالما كانت تهتم بمثل هذا العمل..

- كم أتمنى لو أن جوفري لم يلتق بها.

- لسوء الحظ التقاها، وأحبها، وخسرها.

بالرغم من جهدها للسيطرة على نفسها، بدا صوت نيڤين مرهقاً، وتنهدت بحدة.. ووقفت كريستوبل على قدميها:

- أنت مرهقة عزيزتي.. اذهبي إلى النوم.. ستبدو الأشياء أفضل في الصباح.

كانت الأم نافذة البصيرة لكنها لم تتدخل.. فهي تؤمن بترك المجال لكل شخص خاصة أولادها.

مرّ الليل بلا أحلام.. واستيقظت نيڤين على سماء صافية، ونهار هادىء جميل، حتى أنها أمضت ما تبقى من الصباح تتمتع

على الشرفة في مؤخرة المنزل.

كانت كريستوبل برغم تحملها مسؤولية وظيفة بائعة في أحد مخازن البيع الكبرى في أوكلاند، تجد الوقت الكافي للعناية بالحديقة.. ثم يكن عند انتقال العائلة إلى هذا المنزل من مزروعات حوله، وهذا الجمال الذي يبهج نظر نيڤين الآن يعود الفضل فيه إلى عناية أمها وعملها الجاد ومهارتها.

قالت لطائر الفرنوق البرونزي الأنيق الواقف قرب النافورة الصغيرة: أوه.. هذا كله نعيم كامل! وهي تُملي نظرها من الزهور البيضاء الزهرية والقرمزية المحيطة بالنافورة بسعادة.

وقالت تنظر إلى قطة متكاسلة فوق الجدار: أوه.. ما أروع أن أعود.. لم يبق لي الآن سوى الحصول على عمل.

لم تتوقع أن يكون هذا أمراً سهلاً. لكنها تساءلت بعد أسبوعين من الرد على بعض الإعلانات، ما إذا كان من الأفضل لها أن تعود إلى مهنة تربية الأطفال أو التمريض.. فمعظم المراكز التي عرضت عليها كانت تتطلب عملاً كثيراً ومسؤوليات دون راتب يذكر.. والكثير منها أعمال مربية.

قالت لجوفري ليلة وهي تصف له رجلاً أجرت معه مقابلة لمدبرة منزل، ولم يخف تواياه حتى في أول مقابلة:

- أمر ميؤوس منه.

- ليتني كنت معك.. وما هي فرص الحصول على وظيفة محترمة؟ كنت أظن أن المستشفيات بحاجة ماسة إلى ممرضات كفوءات.

تحركت في كرسيها تراقبه وهو يصب لها كوباً من العصير، بعد أن دعاها إلى العشاء لأن والدتها ذهبت إلى المسرح.. لكنه لم يعد

3tt3.net

ذلك الأخ الذي اعتادت أن تمازحه وأن تكون سخيفة معه.. وتستطيع أن ترى الآن ما يقلق أمها عليه.

قالت:

ـ لا أدري.. يبدو أنني سأعرف قريباً.

ـ سيحدث هذا.. لا تقلقي.. اسمعي، هل تمانعين أن أدير جهاز التلفزيون؟ أترقب برنامجاً وأريد أن أشاهده الآن.. بل رجلاً على وجه التحديد..

كان البرنامج جيداً.. وتمتعت نيڤين به حتى نصفه، حين انتقل إلى نقاش عام أحد المحاورين فيه كان البوت آيكوت.. وأجفلت نيڤين ووجهت نظرة سريعة إلى وجه أخيها.. كان يجلس كالتمثال.

تمتمت: سأطفئه.

ـ أتركيه.. فأنا لم ألتق من قبل بهذا الرجل.. أريد أن أعرف ماذا يمتلك.. عدا المال.

ـ لكن..

ـ اتركيه نيڤين.

كان يتكلم بهدوء لكنها ارتجفت وهي تعود إلى مقعدها.

ما تلا كان يقارب التعذيب.. بكل ثقة بالنفس بدا البوت وكأنه في منزله.. وبينما فقد الآخرون أعصابهم وحاولوا عبثاً إخفاء الحقيقة أو تبرير أنفسهم.. كان البوت يكشف كل زيف في مناقشاتهم بضع جمل ملتصبة صحيحة، ثم يراقبهم بسخرية.

نسيت نيڤين وجود جوفري.. نسيت كل شيء عدا حاجتها لتركز عينيها على الشاشة، تتمتع بوسامة قسمات وجه البوت بسعادة.. دون وعي منها. أخذت تراقبه إلى أن وقف جوفري وأقفل الجهاز.

ـ حسناً.. ما رأيك به؟ لزوجتي ذوق رفيع.. أليس كذلك؟

ـ جوفري..

ـ بعد أن تركتني، جعلت شغلي الشاغل أن أكتشف قدر ما أستطيع عن ذلك اللعين البوت آيكوت.. أردت أن أعرف ما إذا كان هناك طريقة لأرد فيها عليه.

ـ أوه.. جوفري.

ـ سأفعل هذا يوماً.. سأجعله يتمنى لو أن عينه لم تقع على زوجتي السافلة.. إنه أكبر مني بست سنوات.. وهذه السنوات الست هي رصيدي.

ـ ونيفاني؟ هل ستجعلها تندم كذلك؟

ـ لا.. إنها لا تستحق العناء، تلك الخائنة الكاذبة الغشاشة.

عضت نيڤين على شفتيها.. بإمكانها أن تقول له إن البوت ليس مُلاماً كما يظن. لكن نظرة واحدة إلى تعابير وجهه المشتتة الكئيبة كشفت لها أن لا جدوى من قولها أي شيء. فهو الآن أسير ألمه وإذلاله ولن يصغي إليها.

رفع رأسه بعد لحظات طويلة، وقال دون تعبير:

ـ لقد وصلت إلى البداية.. ستدفعني آخر آلة اخترعتها إلى الأمام. كل ما كنت أحتاج إليه هو البداية.. ولقد أعطتني المؤسسة هذه البداية.. لسوف أنطلق إلى البعيد وبسرعة، وسينتهي بي الأمر لأصبح أكثر ثراء من البوت آيكوت.. سأجعله حين أمتلك السلطة يجثو على ركبتيه.. فالكراهية ورغبة الانتقام توفران لي الدافع القوي لتحقيق الطموح.. هل تلومينني على هذا؟

قالت بثبات:

ـ الانتقام أسوأ سبب للقيام بشيء. لكنني أفهم مشاعرك.

3tt3.net

وأتمنى أن لا تنتهي مثله، قاسياً لا رحمة في قلبك.

ردّ دون اكتراث:

ـ يبدو أن هذا هو السبيل الوحيد.. لقد بدأ من لا شيء وهو الآن مليونير.. إذا تمكن من أن يفعل هذا أستطيع أنا كذلك أن أفعل مثله. على أي حال.. يبدو أن معظم النساء لا يحملن نفس وجهة نظرك عن الرجال القساة..

انتظرت حين عادت إلى المنزل عودة أمها.. محاولة أن تجد بعض المنطق في الأفكار التي تتلاحق في رأسها.. ووصلت كريستوبل بينما كانت نيڤين تعدّ الكاكاو لمحاولة استجلاب النوم.. وسألتها كريستوبل:

ـ عزيزتي.. ما الذي يقلقك؟

استدارت نيڤين وكوب الكاكاو الساخن في يدها.

ـ لقد شاهدنا اليوت آبكوت في التلفزيون.. أمي، أتعتقدين أن جوفري غير متزن؟ لقد تكلم بجنون وكان يعني كل كلمة قالها.

تنهدت كريستوبل:

ـ ضعي المزيد من الحليب في الغلاية، سأتناول بعض الكاكاو معك.. لا.. لا أظنه غير متزن.. إنه فقط يحاول التعامل مع سلسلة معقّدة ومؤلمة من المشاعر.. مشاعره عميقة جداً لذا كان إحساسه بالخيانة قوياً.. وهو يحتاج وقتاً ليصل إلى توافق مع نفسه.

أملت نيڤين أن يكون الوقت فعلاً هو ما يحتاجه.. فحين وصل بعد ظهر اليوم التالي إلى المنزل، راقبت وجهه بحذر.. بدا متحفظاً قليلاً وكأنه محرج لانفجار مشاعره ليلة أمس، لكن ما عدا هذا، كان كعادته دائماً متحجر العينين صلباً.

قال لها بعد التحيات:

ـ هناك رجل أتعامل معه في المؤسسة يعرف امرأة تستعيد عافيتها بعد نوبة قلبية.. تعيش مع ابنها الذي يسافر كثيراً، وتحتاج إلى من يكون مسؤولاً عنها.. كمرافقة أكثر من ممرضة.. وإلى السكن معها.

ـ يبدو لي هذا ممتازاً.

ـ إذا أردت الوظيفة عليك الذهاب لرؤيتها.. إليك اسمها والمستشفى حيث هي الآن. تتوقع أن تراك بعد ظهر الغد.. لماذا لا تريدين العودة إلى التمريض نيڤين؟

ترددت تنظر مقطبة إلى الورقة التي سجل عليها الاسم والعنوان:

ـ من الصعب أن أشرح لك.. لكنني في الوقت الحاضر أرغب في شيء أقل انتظاماً.

ـ أتريدين أن تجدي نفسك؟

ـ لا.. فأنا أعرف نفسي وما أنا، فأنا بارعة في مهنتي، وعلى الأرجح سأعود إليها قريباً.. لكنني أحتاج إلى وقت لألخّص كل ما قمت به وأنا مسافرة. وأحتاج إلى القليل من الهدوء.

لامست خدّه متحبّبة:

ـ يجب أن تعرف ما أعني.. أنت في أوقات فراغك تطالع كتب السفر.

ضحك.. بضع ذراعه القوية حول خصرها وينقلها من جانب إلى جانب:

ـ معك حق.. أنا سعيد بعودتك حبي. لقد كانت سنوات مستوحشة.

3tt3.net

* * *

لم تكن السيدة هولاغ امرأة كبيرة الجسم، لكنها كانت تسيطر على غرفة الاستراحة في المستشفى دون عناء. . وراقبت تقدم نيڤين نحوها بعينين ماكرتين حادتين، وبابتسامة صغيرة.

ـ قال لي ابني إنك ستأتين، أي نوع من الموسيقى تحبين؟

لامست ابتسامة نيڤين المشرقة بعض المكر:

ـ الكلاسيكية ما عدا المعزوفات الكمانية والوترية، الأوبرا خاصة الإيطالية. بعض الموسيقى العصرية «البوب» وبعض الموسيقى الريفية والغربية، أغنيات العصر الڤيكتوري. .

اتسعت ابتسامة السيدة هولاغ:

ـ موسيقى مختارة من كل الأنواع. . وهل لديك روح مرحة؟

ـ بكل تأكيد.

ـ ما رأيك بنكتة عن نفسك؟

ابتسمت نيڤين ساخرة:

ـ أستطيع عادة رؤية النكتة. . وأحياناً أضحك لها. مرة أو مرتين وجدت بعض النكات مضحكة.

ـ آنسة «صادقة». . متى تستطيعين المباشرة في العمل؟

ـ ألا ترغبين في إلقاء نظرة على أوراق اعتمادي، أو النظر إلى أوراق التوصية، أو أي شيء؟

ـ عزيزتي. . إن كنت غير كفؤة أو غير صادقة، أو اكتشفت ميلاً للقساوة فيك فسأتخلص منك بسرعة. لا تقلقي. . ماذا تعرفين عن هذا العمل؟

أخبرتها نيڤين، وهزت المرأة رأسها، لا تفارق عيناها وجه نيڤين أبداً.

ـ هذه هي بالضبط. . ستتقاضين راتب ممرضة. . وستبقين تحت الطلب معظم الوقت إلى أن أتمكن من إقناع إبني أنني لن أموت. . وأرغب في أن أستعيد عافيتي خلال ثلاثة أشهر.

ـ لا شك عندي بهذا. . كنت أعرف أن العمل مؤقت.

ـ إذن أيمكنك البدء في الغد؟ لا أريد البقاء يوماً إضافياً هنا أكثر من اللازم.

ضحكت نيڤين:

ـ حسن جداً. . لكنني سأترك أوراقي هنا، ويجب أن تعديني بقراءتها قبل أن تتخذي وابنك القرار النهائي. هل أنا الشخص الوحيد الذي قابلته لأجل هذا العمل؟

ـ لا. . ولا أريد أوراقك. . لطالما اتخذت قراراتي بنفسي طوال حياتي، ولم يكن عندي سبب للندم. لكن، إذا كان يسعدك أن تتركيها فافعلي. . لن أقرأها. . نيڤين اسم غريب. . اختصار ماذا؟

ـ سُميت باسم جدتي، الفرنسية المولد.

ـ إنه اسم طيبي مثلك، وهو جميل، لقد أحببته، سأراك في العنوان الذي على الورقة غداً في الثالثة. . وداعاً.

نزلت نيڤين في الساعة الثانية والنصف تماماً من بعد ظهر اليوم التالي من الباص متجهة حيث تنتظرها سيارة، كما وعدتها السيدة هولاغ. . وخرجت منها مع تقدم نيڤين سيدة متوسطة العمر، تبتسم بدفء:

ـ نيڤين ستيوارت؟ أنا سالي آيمز. . مديرة منزل السيدة هولاغ. . أدخلي السيارة. هل كانت رحلتك مريحة؟

ـ لم يكن في الطريق الجبلية شاحنات تعوقنا.

وجدت نيڤين أنها ستحبّ سالي آيمز.

3tt3.net

- أصبحت الأمور مع التمديدات الجديدة للطريق العام أفضل بكثير.. لكن الجزء الآخر من الطريق الموصل إلى هنا هو الأسوأ، وهو مع ذلك غير طويل.

قادت السيارة إلى الداخل فوق طريق ضيق مفروش بالحصى.. تتجنب بلباقة الحواجز على جانبي الطريق.. قررت نيفين بعد قليل أن تثق بقيادة سالي وأن بمقدورها التمتع بالمناظر حولها.. حولهما تلال منخفضة وفوقها قطعان من الأغنام، وأبقار حمراء تستظل من أشعة الشمس تحت الأشجار.. كان البعض منها يجتر ما تناولته والآخر لا يزال يأكل العشب الندي. بعد ميل انخفضت الطريق أو أكثر بقليل إلى وادٍ مزدهر ومزروع جيداً.. فيه حواجز من الشجيرات الشائكة، وأشجار توفر سداً ضد الريح، والجمال معاً.

قالت سالي:

- نكاد نصل.. انظري بإمكانك رؤية المنزل من هنا.

نظرت نيفين نحو الاتجاه الذي أشارت إليه سالي، وأحست بقلبها يرقص فرحاً. كان المنزل زهري اللون، منتشراً فوق بقعة خضراء، خلفه بعض الأشجار الضخمة، وهو بعيد عن الطريق. لقد شاهدت ما يكفي من منازل جورجية الطراز في انكلترا لتعرف الطراز فوراً.

تركّزت عيناها عليه بصدمة:

- لا شك أنه قديم.

- هذا صحيح.. حين اشترته السيدة هولاغ وزوجها.. زوجها الأول، كان مهدماً تقريباً. أصلحته تماماً. وكذلك الحدائق.. يأتي الناس من كل أنحاء العالم للتفرج على الحدائق. إنها شديدة الدقة حول التفاصيل.. تحب أن يكون كل شيء في المنزل والحدائق

دقيقاً كذلك، ولا أدري ماذا ستفعل الآن بعد اكتمال كل شيء فيه.

كان المنحدر تحتهما مليئاً بالخلنج الربيعي، وهي محمية على كتف التلة من أسوأ رياح نيوزيلند، بسور بدائي مليء بالخضرة على طول السياج. وأصبح واضحاً لنيفين أن ربة عملها الجديد لا ينقصها المال.

اتضح لها أن المبنى الذي استقبل سيارة الفولفو، والذي يحوي عدة مركبات أخرى، كان يوماً ما اسطبلاً للخيل.

كان منفصلاً عن المنزل الرئيسي بفسحة عريضة فيها ظليلة معرشة، وحديقة مطبخ.. وكان هناك في إحدى الجوانب، ستائر خشبية مقطعة تتسلق فوقها ورود من الألوان المختلفة، تحمي بركة السباحة.. وهناك طريق عريضة مرصوفة ببلاط حجر، يصل امتداده إلى المنزل.

أخذت نيفين نفساً عميقاً من الهواء الدافىء المعطر بروائح زهر الصعتر، وقالت ببساطة:

- إنه رائع.. أظن أنني سأحب العيش هنا.

ردّت مديرة المنزل صادقة:

- أتمنى هذا.. إنه مكان معزول قليلاً فيما لو كنت معتادة على حياة المدينة.

ارتفع خط حاجبيها وقالت بلطف:

- هل لي أن أرى السيدة هولاغ الآن؟

- لقد أعطاها الطبيب منوماً.. كانت نائمة حين ذهبت لأتفقدها.. سآخذك إلى غرفتك.

قالت نيفين وهي تلحق بالمرأة الأكبر سناً فوق سلم محفور رائع.

3tt3.net

ـ لا أظن أن السيدة هولاغ تحتاج إلى ممرضة أو مرافقة.

سارتا في ردهة واسعة مضاءة بأشعة الشمس عبر بابين زجاجيين واسعين.. وأجابتها سالي:

ـ يقول الطبيب إنها بحاجة لمن يمنعها من أن تعود إلى العمل قريباً.. فهي ليست معتادة على الجلوس دون عمل.. وقد كرّست حياتها لحديقتها فقط، إلى أن أصيبت باضطراب القلب، وأظن أن الجميع يعتقد أنها ستضجر سريعاً.. هاك غرفتك إنها قرب غرفتها تماماً، وهناك جرس تستطيع استخدامه لاستدعائك إذا احتاجت إليك.. الآن سأعدّ قليلاً من الشاي بينما تفرّغين حقيبتك.. أم تفضلين القهوة؟

ـ سيكون الشاي ممتازاً.. شكراً لك.

ـ سآتيك بصينية الطعام، لا شك أنك جائعة.

ـ أوه.. لا.. لا تفعلي هذا. أنا لست هنا لأزيد على عملك عملاً. سأجد طريقي إلى المطبخ بعد أن أفرغ ملابسي، وآخذ دوشاً سريعاً.

ـ حسن جداً.. إذا كنت واثقة أنك تريدين هذا.. فالحمام هناك، إنه لك وحدك، لا تشاركيه أحداً، لدينا بئر ماء إضافة إلى خزان مليء بماء المطر.. ونحن الآن في الربيع، وأمامنا الصيف كاملاً، لذا حاولي الاقتصاد في الماء..

ـ أوه.. طبعاً.

بدأت نيڤين بعد أن خرجت سالي بوضع ملابسها في الخزانة.. ربما اختارت السيدة هولاغ أو مهندس الديكور اللونين الأخضر والأصفر اليانع للغرفة، التي تدفئها سجادة بلون العنبر، فارسية الطراز، تكاد تخفي الأرضية الخشبية اللماعة. وكان الأثاث يحمل

سمة القدم والعناية، وعكس الزجاج اللماع على النافذة صورة وجه نيڤين وهي تنظر من خلاله إلى الخارج.

مررت بعد نصف ساعة أصابعها خلال شعرها البرونزي المغسول والمجفف، ثم ملّست تنورة فستانها، وخرجت عبر الردهة، تتبع حدسها نحو المطبخ.

كان المنزل صامتاً، وأبوابه مفتوحة أمام اليوم الربيعي الندي، وكانت أشعة الشمس تتسرب في الردهة السفلى، وتنسكب على السجادة القرمزية وألواح خشب الأرض اللامعة، وتنعكس من زهرية فضية فيها باقة ورد زهرية. وتوترت نيڤين، تنقل قدميها بحذر، ففي الجو أجواء ترقب حذرة.

توقفت مذعورة لسماعها صوتاً مكتوماً عبر إغلاق الباب خلفها، وانتفض كل جسمها ووقفت.. واشتدت يداها بقبضتين، فيما قلبها أخذ يخفق في داخلها وكأنها شاهدت لتوّها وحش الكوابيس.

ـ تعالي إلى هنا نيڤين.

ضربت الحائط بقبضتها علّ الألم يحررها من الغضب الذي جعلها أسيرة له.

ـ نيڤين!

كان في صوته هذه المرة رنة قلق.

همست عبر شفتين جفت الدماء منهما:

ـ اللعنة عليك.. اليوت آبكوت.. كيف تجرؤ على استخدام أخي لتأتي بي إلى هنا؟ كيف تستطيع؟

ـ كنت مستعداً لاستخدام أياً كان حتى أمي.. لكن في هذه الحالة بإمكانك أن توجهي الملامة للقدر.. أو للصدفة.

3tt3.net

لا جدوى من المقاومة.. أمسك يدها يفحص بلطف عقد الأصابع البيضاء حيث ضربت الحائط وأبقت عينيها منخفضتين، ومع ذلك لاحظت بأنه فقد من وزنه. بدا متوتراً، مشدود الأعصاب تحرقها عيناه المثقلتان وهما تتفرسان في وجهها بشراسة وتملك.

أمرها بهدوء:

ـ تعالي إلى المكتب.

صب لها القهوة في المكتب من إبريق كهربائي، وجاءها به إلى وسط الغرفة بينما كانت تشعر بكيانها كله مشدوداً في رفض متزمت.

ـ اشربي.

شربت مخدّرة الإحساس، دون تأثر حين أحرق السائل الحار لسانها.. وبقيت صامتة.. اللون الأزرق القاتم في عينيها متحجر. كل نمشة بارزة فوق الأنف المستقيم، وهي تحدق من فوق كتفه.. وقال بكل أدب:

ـ الآن يمكنك الصياح في وجهي.

أضاء الارتياح حين مررت طرف لسانها على شفتيها تعابير وجهه، لكن نيڤين كانت تحترق بنارها الخاصة ولم تنتبه له.

قالت بصوت أجش بعد صمت طويل:

ـ سأعود إلى منزلي.

ـ لا.

كان للكلمة الوحيدة وقع ثقيل، فرفعت نظرها إلى اللمعان المتملك الذي تخشاه وتخافه.. وكأنما استيقظت من الموت، قالت:

ـ لا يمكنك منعي.

ـ بل أستطيع.

أخذ منها الفنجان ووضعه على الطاولة، وضع يديها على قماش قميصه القطني الرقيق، فوق قلبه تماماً.. ووصلت الضربات الثقيلة إلى راحتي يدها، سريعة متوترة، غير متناسقة.

قال بصوت خشن: نيڤين.

صاحت: لا!

لكن الوقت كان متأخراً جداً.. فقد سحق صوتها الصغير على صدره.. أخذت الألوان الحمراء والذهبية تتراقص خلف جفنيها المقفلين وهو يتمتم:

ـ أوه.. يا إلهي.. كم أحتاج إليك.. أتدرين كم طال انتظاري.. قروناً كثيرة.. عذاب طويل من الانتظار..

لم تستطع نيڤين الرد.. كانت مسحورة وانتشرت مشاعر حية في داخلها، وأدركت لأول مرة أن هذه المشاعر تولّد ضياعاً كالألم تماماً..

وهمس بثقل:

ـ لن تستطيعي مقاومتي.

كان صوته يخلو من أية عاطفة.. جمدت.. وتحول الشوق في نفسها إلى عذاب، إلى إحباط، قبل أن تجذب نفسها منه بحدة.. ووجهها المتوتر أبيض اللون بكراهية ذاتية بسبب خيانة قلبها وعقلها.

ضغطت بقبضتيها على عينيها: أوه.. يا إلهي!

لكن لا شيء بإمكانه إبعاد صورة تعابيره القاسية، أو بريق الانتصار في عينيه.

استعاد سيطرته على نفسه بسرعة وسهولة:

3tt3.net

ـ ولست أدري لماذا أنا كذلك على أي حال، إحدى الأشياء الكثيرة التي علمتني إياها أمي القاسية المتعقلة هي أن لا أضيع وقتي سدى في النواح. أحبيتِ هذا أم لا، نحن واقع.. وبما أنك الآن هنا.. سترين بأنني لست نذلاً.. كما تظنينني.

أرخت بيطء يديها ونظرت إليه بكره:

ـ ولماذا يجب أن أعرفك؟ أعرف من أنت.. وهذا يكفيني.

ـ أنت لا تعرفين شيئاً عني.

همست:

ـ أعرف ما يكفي لمنعي من التورط مع رجل أغوى زوجة أخي.

ظنت للحظة أنها وجدت شرخاً في دفاعاته واشتدت عضلة في زاوية فمه بقوة وسرعان ما استرخت قبل أن يتكلم.

وقال بهدوء:

ـ أنتِ متأفقة.. فهذا ليس برد فعل عذري أحصل عليه منك.

كرهت سخريته، وكرهت تذكيره لها باستجابتها لعناقه. كرهته.. وكرهته.. ثم قالت:

ـ سأعود إلى منزلي.

ـ لن تفعلي.

ـ وكيف ستمنعني؟

ـ بكل سهولة.. أفضل أن لا أستخدم القوة لإبقائك هنا.. لكن لو اضطررت فسأفعل.. فلا تخطئي.

ـ كيف؟ لا يمكنك وضع القيود في يدي..

ـ إلى أي مدى تحبين أخاك؟

تشنجت كل عضلة في جسدها انتظاراً لضربة. وهمست:

ـ لماذا تسأل؟

لا شك أنه يدير أعماله هكذا، بثقة لا شفقة فيها.. وأكملت:

ـ ما دخل جوفري بـ.. أوه!

وصدمتها المعرفة بضربة كانت تتوقعها.

ـ أجل.. حين احتاج جوفري دعماً مالياً لآخر أفكاره، تقدم إلى صديق لي.. اهتم به ولم يستطع مساعدته. فاتصل هذا الصديق بي، وهو يعرف مدى اهتمامي بالتجارة.. فأجريت تحرياتي الدقيقة عن جوفري وأعجبني. والتقيت في نفس الوقت تيفاني، ولم يكن اسمها يعني لي شيئاً.. فهناك الكثيرون ممن يحملون اسم ستيوارت.. وكم تمنيت عدم لقائها.. لكنها بدت حرة، ويجب أن تعترفي أنها جميلة.

سألت بصوت حاد بالغضب:

ـ أهذا كل ما يهمك؟ إنها جميلة؟

ـ لا.. لقد أعجبتني، كانت مسلية وذكية.. لكنني غضبت حين اكتشفت أنها متزوجة.. مع أنها كانت قد تركته. لم تتحدث يوماً عنه، لذا أحسست بالصدمة لاكتشافي أنه مخترعي العبقري.

تردد، فقالت بلؤم قدر استطاعتها:

ـ فرص اكتسابك للمال أهم بكثير من أية امرأة، مهما كانت تعجبك؟

ردّ بلطف:

ـ لا.. فاختراع أخيك له القدرة على إنقاذ الأرواح نيفين.. ولو طورناه هنا فلسوف يكسب البلاد كمية كبيرة من المال.. ما إن اتخذت القرار بدعمه، حتى أسست المؤسسة كي تخفي أثري عنه ولا يعلم أنني وراءه.. يمكنني بيطء سحب دعمي في أي وقت أشاء.. فقد كان جوفري متلهفاً للحصول على الدعم ولم يهتم

3tt3.net

بالشروط . . وسيكون من المستحيل عليه طلب الدعم من أحد .

ـ لماذا؟

قال لها إن جوفري قد تنازل للمؤسسة عن حق تسويق اختراعه .

ـ وهذا يعني أن لا مصادر مالية كثيرة أمامه . .

ـ وهل فعلت هذا متعمداً؟

تردد، ثم قال :

ـ إنه إجراء إلزامي . . شقيقك نابغة . . أما بالنسبة لليوم . . كنت أعرف متى ستعودين، لكن لم يخطر ببالي أنك لن تعودي إلى التمريض في المستشفى . . لقد تعمّد ممثلي المالي ذكر أمي أمام جوفري بعد أن قال له كم تجدين من صعوبة في إيجاد عمل .

ـ لكنك عرفت قبل وصولي اليوم .

ـ بل عرفت قبل أن تذهبي لرؤية أمي .

رفع نظره إليها بفاجيء تفرسها الباش فيه . . اسودت عيناه وتشابكت للحظات عيونهما، ثم هزّ رأسه وقال فجأة :

ـ لم أكن أتوقع أن يكون الاتصال بك بهذه السهولة، لكنه حدث . . ولن أدعك تذهبين .

ـ وكيف ستمنعني؟

ـ أستطيع سحب الدعم .

شهقت، فهز رأسه :

ـ قلت لك إنه كان متلهفاً للحصول على الدعم . . ولو فعلت هذا، إضافة إلى خسارته زوجته لوجد صعوبة كبيرة في إكمال الشيء الوحيد الذي يبقيه في كامل عقله في الوقت الحاضر .

صاحت بصوت أجش مرتفع :

ـ وكيف تعرف هذا .

ابتسم دون مرح في عمق عينيه : أعرف .

ـ كل هذا بسبب امرأة؟

ـ كل هذا بسببك أنت . . لكن لن أتوقع منك أن تقدّمي نفسك كضحية في سبيل شقيقك . . ولن أصرّ على طلب شيء . . كل ما أطلبه أن نعطينا الوقت لنتعرف إلى بعضنا بعضاً أكثر .

تقدم إلى حيث تقف دون حراك، فوضع يده على كتفها ليديرها نحوه :

ـ مثلاً : إلى أن أخبرتني أمي بالأمس، كنت سأقول إن الموسيقى والأغاني الفيكتورية العهد، وأنت . .

صمت ورفع رأسها الدامع العينين إليه، ثم ضمها إليه بدفء :

ـ نيڤين . . لا تبكي حبيبتي، أرجوك، لا تبكي . . لا أريد أن تكوني تعيسة . .

ـ أيمكن أن تتركني أذهب؟

ـ لو تركتك فهل تخرجين معي؟

فتحت عينيها باتساع لتلتقي بالسؤال المتجهم في عينيه، وهمست : لا .

ثم بعط نفسه وقتاً للتفكير :

ـ إذن سيبقى ردي كما هو، لا، ستبقين هنا .

خلّصت نفسها منه بوقار جعلها فجأة تبدو مخيفة، وربما كان قد لاحظ أنها وصلت إلى منتهى قدرتها على التحمل، فتركها دون اعتراض .

ـ لقد حصلت لنفسك على صفقة .

ـ حسن جداً . . لا أريد أن يعرف أخاك، أو أمي، بهذا .

عضّت شفتها . . يمكنها الموافقة شرط أن لا يعرف جوفري . .

3tt3.net

وكأنها تفكر بالأمر، قالت ببطء:

ـ بمكنني أن أحاول قليلاً من الابتزاز المضاد.

ـ أتهددينني بكشف غدري لأمي؟

ابتسم بعد أن بدت عليه التسلية الحقيقية:

ـ حبيبتي.. ليس لأمي أية أوهام عني.. على أي حال ستجد هذه أعقل طريقة للتصرف.. قلت لك إنها قاسية وعملية جداً.. وأنت لن تستطيعي أن تفعلي هذا.. فأنت تدركين تماماً واجباتك تجاه مريضتك.

هوت كتفاها بانهزام، وقالت:

ـ أظنك تعني أنني رقيقة الشعور جداً.. وهذا من حسن حظك. أيمكن أن أذهب؟ لقد وعدت السيدة آيمز بأن أتناول الشاي معها.

* * *

٤ ـ لو طلبت روحه!

التقيا مجدداً في غرفة الاستقبال الصغيرة وقبل العشاء مباشرة.. كانت نيفين لا تزال شاحبة، لكنها تخفي ثورة مشاعرها بوجه هادىء.

كانت تقف أمام نافذة طويلة، تراقب طائر «فاوند» أكل السمك على قمة شجرة مرتفعة تعجب بريشه الأزرق والأصفر البراق. كانت قد ارتدت بعناية للمواجهة تنورة حمراء وقميصاً مماثلاً، ووضعت سلسلة فضية حول عنقها.. لم يكن من عادتها التزيي بالحلى، لكنها حين تفعل كانت تفضل الفضة فالذهب كان يبدو شديد البروز أمام لون بشرتها الشفافة.

توترت أعصابها حين انفتح الباب تحذّرها من وجود البوت، لكنها لم تنظر إلى الخلف.

سألها بهدوء:

ـ كيف وجدت أمي؟

ـ لا يبدو أنها تعاني من تأثيرات جانبية.

ـ وكيف أقنعتها بملازمة السرير؟

ـ قلت لها إنها لو أرهقت نفسها اليوم، فمن المؤكد أن تدفع الثمن غداً..

3tt3.net

ـ إلى ماذا تنظرين هكذا؟ آه.. طائرنا المحلي وهو في أفضل مركز للصيد.

ـ حسبته يأكل السمك.

ـ يدلل نفسه أحياناً بأكل السمك، لكنه يصطاد فئران الحقول والسحليات كذلك، كما الحشرات والديدان.. لا شك أن لديه عشاً مليئاً بالصغار الجائعين في مكان قريب.. آه.. ها هو ينطلق.

لمع في لمحة بصر اللون الأزرق، ثم انقض الصياد الصغير، وارتفع من فوق المرج مثقل المنقار بصيده واختفى بين الأشجار.

قال اليوت بنعومة:

ـ والآن.. أترغبين في شرب شيء قبل العشاء؟

انخذت نيڤين وهي ترتدي ملابسها، قراراً صارماً بخصوص هذا الرجل.. لن تثق به أبداً، وستعامله بالكياسة الواجبة عليها كربّ عملها، وكمضيف لها.. سوف تتبنى في تعاملها معه تحفظاً سيبقيه بعيداً عنها.. ستكون مؤدّبة، متحفظة، ترد عليه حين يكلمها، لكنها لن تتطوع في معلومات أو حديث.. ولسوف تتأكد أن لا يحصل على فرصة للتقرب إليها..

قابلت بارتياح اقتراحه الآن في أن تشرب شيئاً قبل العشاء، فهذا سيبعده عنها بما يكفي لتتمكن من إيقاف ارتجاف أطرافها.. لذا بادرته وصوتها متوتر:

ـ أجل.. كوب شاي، أرجوك.

وتقدمت لتجلس على مقعد مغطى بالوسائد.

بقيا للحظات يتبادلان النظر، ثم انفرج وجهه الوسيم بابتسامة لرؤيته التمرد على وجهها.. وقال بنعومة وهو يمد لها يده.

ـ لا أريد أن أضطر إلى الصراخ عبر الغرفة.

تحدّث عيناها الصافيتان كمنتصف ليل ربيعي، لمعان وبريق الكريستال في عينيه وتشابكت النظرات في معركة صاخبة.. كانت نيڤين حين وقفت شبه مهزومة، تحس بمرارة أكثر، لأنها كانت تحارب وتقاوم غرائزها.

ـ الدرس الأول: نفّذي ما يقوله لك الرجل..

ثم يجلس إلى جانبها.. فبعد أن أثبت وجهة نظره اختار مقعداً في مواجهتها، وأخذ يراقبها.

كان تأثير نظراته يشد كل عصب فيها، لكنها صرّت على أسنانها بخضوع، تُصغي إلى تعليقاته وإلى أفكاره، والقليل عن أمه، والمزيد عن هذا المكان، الذي سيكون سجنها.

قال: يُعرف المكان فعلياً بوادي الصياد. وهو مستوطن مشهور بالصيد هنا. «ديك برايتر» وصل إلى هنا مع زوجته التي كانت حاملاً منذ مئة عام ويزيد، معه المعدات الضرورية لحياة اعتاد عليها، حياة سيد إنكليزي.. ولم يكن لسوء الحظ التعقل جزءاً من معداته، ولا القدرة على التكيف، ولا أي ميل للعمل الجاد.. نظر نظرة رعب إلى الوادي، وكان نصفه مستنقعات والنصف الآخر هشيماً، وهرب إلى أوكلاند حيث خسر كل أمواله في مضاربات غير حكيمة.

ركزت نيڤين محاولة إرخاء عضلاتها قبل أن تؤلمها.

ـ رجل أرعن.. هل باع الوادي؟

ـ لا.. فما من أحد أراد شراءه.. إنما قرر أخيراً ابنه، الشاب البعيد النظر والأكثر وعياً، أن يفعل شيئاً حول إعادة بناء ثروة العائلة. فترك أهله حين بلغ التاسعة عشرة في فقرهما البائس في أوكلاند وجاء إلى هنا، وبنى لنفسه كوخاً من الأخشاب في مكان المنزل الآن وبدأ العمل في إخضاع الأرض.

3tt3.net

بدأت دون إرادة منها الاهتمام بهذا الرائد:

ـ وهل هو من بنى المنزل؟

ـ أجل.. لقد بناه نسخة طبق الأصل وقدر ما استطاع عن منزل أسلافه.. لا شك أنك شاهدت بعضاً من أمثاله في بريطانيا.

لقد رأتها وأحبتها.

ـ أجل.

هزّ رأسه:

ـ نحن نؤمن بأنها تتناسب مع طبيعة أرضنا كذلك.. طراز يمكن بناؤه بسهولة.

ـ لقد قالت السيدة آيمز إن والدتك هي التي أصلحت وأعادت ترميم المنزل، والحدائق كذلك.

ـ إنها هوايتها.. لكن لسوء الحظ لم يعد لديها شيء لتفعله الآن.. كان الأرض والمنزل حين اشترى والداي المزرعة في حالة سيئة.. واستغرقهما سنوات وكمية كبيرة من المال والعمل الشاق لإعادتها إلى شكلها الطبيعي.. ولقد مات أبي قبل أن تنتهي.

لماذا يقول لها هذا؟ أعطاها حدسها الجواب.. إنه يحاول تأسيس روابط بينهما ويشجّعها على تبادل المعلومات.

ـ كم كان عمرك يومها؟

ابتسم:

ـ إحدى عشرة سنة، كبيراً بما يكفي لأكون مزعجاً.. فأرسلتني أمي إلى مدرسة داخلية.

ـ يبدو لي هذا خشونة منها.

ـ قلت لك إنها واقعية. إلا أنني تمتعت بالمدرسة، وتركتها مصمماً على محاولة كسب معيشتي بطريقة غير الزراعة، وأغواني

عالم المال والسلطة.. كانت أمي قد تزوجت «مايكل هولاغ».. لذا كان من الأفضل لي أن أبني مستقبلي في أوكلاند.

ـ ألم تتفق معه؟

ـ ليس تماماً.. كنت مستعداً للإعجاب به.. لكنه كان يشعر بثقل سنواته التي يكبرني فيها، وكان مركزه كزوج لأمي يعطيه حقوقاً محدّدة.. حقوقاً لم أكن على استعداد لأقبل بها، كنت شاباً ومندفعاً وكان هو من الطراز التقليدي والعنيد..

ـ هذا أمر محزن.

ـ أوه.. لم نتشاجر، ولم نُلحق الأذى ببعضنا.. إنما لم نشاهد بعضنا كثيراً.

ـ متى عدت إلى هنا؟

نظر إليها ببرودة:

ـ بعد أن مات.

فهمت من رده الكثير.. لقد كره تلك السنوات التي أمضاها منفياً.. وقد ساعدته تلك القساوة التي ورثها عن أمه المهيبة على تقبل ماضيه.

ـ ثم ذهبت إلى الجامعة، وانطلقت بعدها وبكميات ضخمة من الحصص والأسهم التي ورثتها عن المسكين العجوز مايكل، بمؤسستي المالية، وتمتعت بعملي على الفور، بتجربة شجاعتي أمام كل ما يأتي خاصة الصفقات غير المعقولة.. كان هذا كمن يركب جواداً غير مروّض بعد.. لكن ما إن بلغت الثلاثين حتى قررت العودة محترماً..

لم تستطع نيڤين منع ضحكتها التي واجهت ضحكته العريضة.. فمهما حاول أن «يعود محترماً» فلا بد أن يُبقي في نفسه شيئاً من

3tt3.net

القرصنة.

قال لها معلقاً:

- تبدين أكثر جمالاً وأنت تضحكين. تشتعل عيناك وتشحب شفتاك حين تغضبين.. أريد رؤيتك تبتسمين كثيراً وأنت هنا.

ردت:

- يمكنني أن أكشر عن أسناني كالقرد المدرّب، وهذا كل ما ستحصل عليه.

تغيّرت ابتسامته، ليحل مكانها برودة وتجهم وجهه الوسيم والذكي، فقال بهدوء:

- ستفعلين ما أريده.. سترقص وستتحدث وتتسامر..

- وتعانقني؟

- لا.. لن أعانقك إلا إذا طالبت أنت بذلك.. لقد وضعتِ الحواجز في رأسك.. لكنني أستطيع الانتظار إلى أن تزول..

- ما الذي تفعله بي؟ أنت تجبرني على البقاء هنا.. وأن أعترف بك..

- أهذا ما يخيفك؟ أنت لا تريدين الاعتراف بي كرجل، لا أكثر ولا أقل من أي رجل آخر. أنا بالنسبة لك الوحش الذي سرق زوجة أخيك، ويجبرك على البقاء ضمن سيطرته، ولكنك تتهربين مذعورة لأنك قريباً ستكونين لي، ستصيحين لي.. انظري إليّ.

وكأن رموشها شدت إلى فوق.. نظرت إلى عينيه الضيقتين ورعد التوتر عبر الفضاء الفاصل بينهما، وكأنه البرق الذي طالما شاهدته وهو يقسم الأشجار نصفين.

تمكنت أخيراً من الرد:

- وينطبق نفس الأمر عليك..

رد وصوته غير سوي:

- أجل.. لكنني لا أقاوم هذه المشاعر.. أنا أعرف ما أريد ولسوف أحصل عليه.. أتعلمين أنني لم أفكر في امرأة منذ رأيتك؟ وأنت؟

صدمها السؤال كلبضة يد تهشم الزجاج.. هزت بذهول رأسها، ترى متأخرة جداً الانتصار وهو يلتمع في عينيه.. وأصيبت في تلك اللحظة بصدمة حول قوته وإمكانياته كرجل.

وجذبها لتقف وكان صدره يعلو ويهبط وكأنه تسلق قمة جبل ليصل إليها، وأطبقت ذراعاه حولها. دفن وجهه في شعرها وكأنما الدفء والقرب يكفيانه.

تحركت يدا نيڤين ببطء تلتفان حوله..

تمتم: «أوه.. يا إلهي!»

لم يكن لديها خبرة فيما يحصل، ولا مقارنة. لقد مر بها في الماضي مناسباتٍ عديدة وقاومت لتتحرر من عناقٍ كهذا.. لكنها مناسباتٍ سرعان ما نسيتها بسرعة.

لكن هذا ما لا يمكنها أن تنساه، ولا مجال لنفي المشاعر التي تسري في عروقها.

تركها فجأة، وأمسك بها في الوقت المناسب لئلا تقع، يلامس كتفيها، يهزّها بعنف، يدفع برأسها إلى الخلف.

- نيڤين!

ارتفعت ببطء رموشها، لتكشف عن عينين براقتين فارغتين.. يحرق الاحمرار خديها.

كان وجه البوت الداكن تحت القناع الوحشي متوتراً، حتى أنه بدا منحوتاً من الخشب. وأسنانه البيضاء القوية مشدودة.. ومع

3tt3.net

عودة الوعي إلى نيڤين، كان صدره يعلو ويهبط.. ولم يكن ينظر إليها، بل وقف متأملاً إلى فوق رأسها.

سألته بصوت لم تتعرف عليه:

ـ هل حدث لك مثل هذا من قبل؟

ـ لا.. أبداً.

بدأت ترتجف كأنها ردة فعلٍ عنيفة، واحتقار للذات.. وقالت هامسة:

ـ لماذا؟ لماذا أنت من بين كل الرجال؟

ابتسم بمرارة للكراهية الواضحة البادية على وجهها:

ـ ولمَ لا؟ إنها مزحة صغيرة من مزحات القدر، جميلتي.. أيمكنك الوقوف مستقيمة دون دعم مني؟

هزت رأسها إيجاباً تحاول الاختباء من نظرته. وأوصلتها قدماها فقط حتى المقعد المجاور، فرمت بنفسها فيه.. وراقبت البوت وهو يُكمل ما تبقى من كوبه، ويأتيها بكوبها.. ولم يواسها أنها رأت أصابعه ترتجف، ولا أن اللون الأحمر القاتم ظاهر علناً تحت بشرته.

قالت بصراحة:

ـ لا أصدق هذا! لا أصدق أن لك فيّ هذا التأثير! لا أصدق!

ـ محاولة عدم التصديق لن تنجح.. لقد أمضيت شهوراً وأنا أحاول نسيانك.

بالكاد سمعته.. كان دماغها يحاول تفهم الموقف كله. واتجهت عيناها ببطء نحوه. كان جالساً وعضلات يديه تتحرك، ثم تسترخي وهو يمدّد ساقيه..

ـ هذا مستحيل..

ـ ألا تلاحظين أننا نستطيع قراءة أفكار بعضنا، تقريباً؟ لا.. بل أستطيع أن أرى أنك ستحاولين إغلاق تفكيرك على هذا أيضاً.. كما رفضت تقبل أي شيء يشذ الواحد منا إلى الآخر.

ردّت بغضب:

ـ ماذا تريد مني؟

كان في ضحكته المنخفضة رنة المداعبة، وتَرت أعصابها، وشدّت بشرة وجهها.. وقال بمجرفة باردة:

ـ أريدك كلك.. كل الذكاء، والروحانية، والشخصية الناقية، كل الدفء واللطف.. كله.. لي فقط.

نظرت إليه مرتعدة.. وبدا النمش على أنفها بمثابة علامات استفهام صغيرة على بشرتها الشاحبة.

ـ أنت مجنون.

ـ طموح ربما، ولست مجنوناً. أترين، أنا لا أريدك فقط.. بل يجب أن أحصل عليك. وهذا ضروري لي..

قاطعته:

ـ وقد ينتهي بك الأمر أن تتمنى لو لم تقابلني.. ماذا لو طلبت ذات الشيء منك؟

وقع البوت أسير التحدي الذي رمته في وجهه، فتغيرت أساريره، وكشف عن دهشته، وسرعان ما تبدلت دهشته بالقناع الجامد الذي أخفى مشاعره بنجاح.

ـ أظنني سأكون خائب الأمل لو رضيت بأقل من هذا.. ولك على الرحب والسعة أن تأخذي مني ما شئت.

ـ كن حذراً.. فقد أطلب روحك.

راقبت يده فيما بعد وهما يتناولان ثمرة الفريز في غرفة الطعام،

3tt3.net

وكانت ثابتة دون حراك، تصف مطوية فوق الخشب الداكن المصقول، وتساءلت بخجل ما الذي دهاها حتى أنها استسلمت لمشاعر درامية..

كل هذا كان يخيفها ويُرعبها، هو يرعبها.. وتعرف تماماً كيف يحس المدافعون عن حصن ما بعد حصار شديد وسقوط الأسوار التي طالما وثقوا أنها ستنقذهم.. عراة النفس، محرومين.

كانت أثمار الفريز الحمراء القانمة دون طعم في فمها.. ومع ذلك كانت تبتلعها، مجبرة تفكيرها على الابتعاد عن الحاضر المخيف، إلى السيدة هولاغ التي استقبلتها بعد أن صعدت لتراها:

- لا تنظري إليّ وكأنني مريضة.. سأغادر السرير في الغد.

- لا سبب يمنعك، طالما تتذكرين أن الإرهاق الآن سوف يصيبك بنكسة في الغد.

وتركزت العينان الماكرتان على وجه تيفين:

- أوه.. لن أبالغ في أي شيء.. فأنا لا أنوي أن أموت قبل سنوات، سوف أرى أحفادي قبل أن أرحل.

- طموح ممتاز.. ويمكنك تحقيقه إذا نفّذت ما يُطلب منك إلى أن تتجاوزي هذه المرحلة.

ضحكت السيدة هولاغ.

- لقد آن لألبوت أن يستقر.. لقد حصل على فرص رائعة، وآن له أن يفكر باستمرارية العائلة.. لقد التقيتما في لندن كما أعتقد؟

ردت بتردد:

- خارجها تماماً.. في تشابس.

- مكان جميل، أليس كذلك؟ من المؤسف أن ابن عمنا هناك رجل غبي.. وزوجته أكثر غباء منه.. من المفيد لهما معاً أن يضطرا

للعمل من أجل معيشتهما.. هل سيعجبك المكان هنا؟

- أجل.. أنا متأكدة، إنه مكان جميل.

- لا يروق سكانه لك كثيراً.

كان على طرف لسانها أن تخبرها رأيها بأحد السكان هنا.. لكنها تذكرت تهديد اليوت.

- أخشى أن أكون بحاجة إلى بعض الوقت لآخذ راحتي مع أشخاص قابلتهم لتوي.. كان الجميع لطفاء معي..

- بالطبع.. فأنا واليوت نرغب بالعيش مع الناس اللطفاء.. ربما السبب أننا لسنا لطفاء بحق أنفسنا.. ألا تؤمنين بتجاذب الأضداد؟

تجنّبت تيفين نظرة المرأة الماكرة:

- أخشى أن لا أكون قد فكرت بهذا كثيراً.

- جيّد.. التفكير أعني.. فمن المذهل كم أن بعض الناس لديهم قدرة على التفكير، بدلاً من استخدام مشاعرهم أعذاراً لتصرفاتهم.. لألبوت مثلاً عقل منفتح ولطالما استخدم المنطق أساساً لتصرفه.. لكنه معرّض دائماً للخطر، ولو لم يدرك هذا، وهو لا يعرف كيف يتعامل مع المشاعر التي تتجاوز المنطق.. اذهبي الآن واستعدي للعشاء.. لا أريد رؤيتك ثانية الليلة.. ستأتي سالي لتطلعني على آخر أخبار الوادي.

- سأتفقدك قبل النوم.

واحتست تيفين فنجان قهوتها الممتازة وهي تتساءل عن تعليق السيدة هولاغ عن الأحفاد، مفترضة أنها تعنيها. لكن ربما أن هناك امرأة أخرى اختارتها زوجة لألبوت، وأحست بغيرة وحشية حتى أن مجرد التنفس آلمها، واضطرت إلى وضع فنجان القهوة من يدها.

3tt3.net

سألها: ما الأمر؟

أجفلها صوته فنظرت إليه، فضح شيء ما في أساريرها أمرها، فاقترب من مقعدها جالياً ليأخذ يدها بيده مكرراً:

ـ ما الأمر؟ أتشعرين بتوعك؟

حاولت تحرير يدها منه:

ـ لا.. لا شيء.

يا لعينيه الجميلتين وشكلهما الرائع وسط وجهه الجميل.. إنهما مثقلتا الجفون برموش كثيفة مقوسة. أحست أن حناناً غامراً تملكها، واختلط مع تأثير قربه منها.. وسمعت صوتها يهمس:

ـ أنت رائع.

لم يبتسم.. كان مثلها مذهولاً، وخائفاً من هذه التجربة الجديدة.. وتوهج لمعان الذهب في عينيه حتى لم تستطع احتماله..

قال أخيراً بصوت أجش:

ـ وأنت كاملة.

وانتزعهما من تلك اللحظة صوت نباح لعدة كلاب، وتحركت شفتا اليوت وهو يتمتم ليصغي إلى اقتراب صوت سيارة قادمة، ثم إلى توقفها.

كان هذا رجلاً جاء يقابله في عمل من نوع ما.. أمضيا ساعة في مكتبه ثم خرجا بينما كانت نيڤين تتصارع مع هاتف قديم ريفي الطراز.

ـ انتظري.. سأعود بعد لحظات، استخدمي هاتف مكتبي.

ـ أنا قادرة..

لكنه كان يرافق الزائر المندهش إلى الخارج ثم عاد بعد قليل..

فقالت غاضبة وهو يفتح لها باب المكتب:

ـ اسمع.. لا داعي أن تزعج..

ـ ما من إزعاج.. من واجبي كمضيف لك أن أسهّل لك الأمور قدر استطاعتي.

ـ أنت لست مضيفي.. أنت ربّ عملي.

ابتسم:

ـ أهذا هو الرقم الذي تريدين الاتصال به؟

ـ أجل، إنه هاتف أمي.. سوف أسجّل المصاريف عليها.

رفع حاجبيه:

ـ فتاتي العزيزة.. نستطيع تحمل كلفة مخابرة إلى أوكلاند.

قطبت نيڤين حاجبيها، فمال إلى الأمام قائلاً:

ـ لقد أمضيت وقتاً طويلاً أتساءل خلال الأشهر الأخيرة كيف تبدين وأنت مبتسمة. أنت لا تفعلين هذا دائماً.. لكن الواقع كان أفضل مما استطاعت مخيلتي أن تتصوره. في الواقع، كنت أعيش في وهم خيالي منذ التقيتك..

ـ توقف!

ـ تضحكين، تبتسمين تلك الابتسامة الخفيفة التي تبتسمينها حين تحاولين إخفاء شيء سلاّك..

ـ اليوت! أصمت!

وتغلّب صوته على احتجاجها المصدوم:

ـ فيما بعد وأنت جالسة كنت أتصورك أيضاً.. كل تلك السيطرة على النفس كدرع يجب أن تختفي.. وستكونين لي.

ـ أنت مغرور جداً لو ظننت أن الأمر سيكون سهلاً.

قال بصوت جاف وساخر:

3tt3.net

ـ واجهي الوقائع . أستطيع أن أحصل عليك ساعة أريد . . إنما يجب أن تكوني مستعدة. لأننا متى أصبحنا حبيبين سيكون الوقت قد تأخر كثيراً على تغيير رأيك.

ـ تأكد فقط أن لا أجعلك تنتظر طويلاً.

أجل . . هذه هي الفرنة المزدرية الحقيقية. ابتسم غير متأثر بكلماتها:

ـ بمكنني أن أكون صبوراً حين أريد شيئاً مثلما أريدك.

ـ أنا لست شيئاً.

رفع كتفيه العريضتين قليلاً، وراقبه نيقين وهو يستدير خلف مكتبه . . وقال بصوت متعب:

ـ أنا آسف . . لا . . لست شيئاً . . أنت امرأة كاملة، امرأتي أنا . . لكنني أحب امتلاك فاكهتي وهي ناضجة، وليست فجة . . لذا سأنتظر.

* * *

لم يترك المكتب وهي تكلم أمها، وجلس على حافة الطاولة الأخرى يتعبير كئيب . . أثار عجبها ووترها معاً. ثم حلت الابتسامة في منتصف المكالمة مكان الاكتئاب . . واضطرت إلى مقاومة رغبة متوحشة في صفعه على وجهه . . لكنها خشيت ردة فعله وخجلت من معرفتها أنها غير قادرة على مقاومته.

لم تشعر من قبل بمثل هذا الغضب الذي كان يعتريها حتى قمة رأسها . . ولم تجد سبباً لمداواة مثل هذا التوتر المرهق . . الشيء الوحيد الذي كان يخفف من ارتباكها إدراكها بأن اليوت يمز بشيء خارج خبرته وإرادته.

لقد قال «كلك»، ويعني ما يقول أنه يريد خضوعها، وأن

يستولي على حياتها كالغازي المنتصر.

لكن الخضوع أمر صعب عليها . . ولو سمحت له بأي نوع من النصر فستخسر نفسها . . تماماً كما فعل والدها وجوفري. كانت خائفة من أن تصبح عاجزة عاطفياً مثلهما . . وصفقت السماعة بعد أن انتهت المخابرة وهي تحدق إليه. فقال:

ـ باردة جداً . . هل أنت دائماً واقعية حين تكلمين أمك؟

ـ نحن لسنا بعائلة تحب المظاهر.

ـ لا؟ لكنني أعرف واحداً منكم يحب التظاهر . . وبشكل مفرط.

ـ هذه رغبة، وليست إحساساً. لقد رأيت ما يمكن للأحاسيس أن تفعل.

ـ بجوفري؟

ـ وبآخرين.

استدار حول طاولته، يلف أصابعه على معصمها:

ـ إذن، أنت خائفة؟

ـ وأنت، ألست خائفاً؟

ـ أجل . . أعرف أن إحساسي هذا موجود . . لقد كان والداي مخلصين ليعضهما، ولم أعتقد أبداً أن هذا سيحصل لي.

حررت معصمها منه مصدومة:

ـ أتلمح إلى أنك تحبني؟

ـ وكيف لي أن أعرف؟ لم أختبر الحب من قبل . . ستكونين سعيدة لو أحببتك، أليس كذلك؟ فهذا سيعطيك السلطة علي. ولسوف تهدمين العالم من حولنا وتتمتعين بالمجد لو فلتت أن هذا سيحررك مني.

3tt3.net

توقعت في الأيام التي تلت أن يلاحقها، لكن بالرغم من إصراره على مرافقتها كلما كان في المنزل، إلا أنه لم يلمسها.

تمنعت بطريقة غريبة بنفسها. فالسيدة هولاغ كانت تسير على طريق الشفاء لكن تعقلها الصارم جعلها مسلّية. كانت دائماً تعرف متى تكون نيڤين مع اليوت.. وحين تريد يصبح وجهها جامداً خالياً من التعبير كوجه ابنها.

وجدت نيڤين نفسها بعد الأيام الأولى تقضي وقتاً سعيداً. ولأنها معتادة على هدوء أمها، فالصراحة غير العاطفية بين الأم وابنها كانت تسرّها بدل أن تصدمها. ولم ترتكب غلطة في فهم نوع المحبة بين الاثنين.. بل كانت تصغي والسيدة هولاغ تقول لأليوت ما نوع الشجرة التي ترغب أن يدفن رمادها تحتها.

قالت السيدة بحزم متجاهلة ابتسامة ابنها:

ـ تحت شجرة الماتيوليا تلك التي غرستها قرب بركة الزنبق المائي.. وستكون الشجرة قد كبرت إلى أن أموت.. يجب أن تجتث قبل أن تسد جذورها مصرف المياه.. ولا أدري ماذا دهاني لأغرسها هناك، مع أنني زرعت مثلها قرب ملعب التنس.

اشتكى اليوت بحبور:

ـ أتمنى أن نقرّري جيداً.. فهذه رابع شجرة تختارينها هذه السنة.. ونقعين في كل مرة في غرام شجرة مختلفة!

ـ آه.. لكنني دائماً أعود إلى جميلتي الماتيوليا.. إنها أجمل أنواع الأشجار في العالم.. فكّر بالأمر لأنكما ستتمكنان في كل سنة من الخروج إليها والقول لبعضكما كم أزهرت.

قالت نيڤين كابحة عجبها لأنها شملتها مع اليوت بكل جرأة:

ـ أو نقول إن هذه سنة ازدهار للأمهات.

قوبل كلامها بآهات رضى، وبتعليقات من الاثنين معاً، كل أسوأ من الذي قبله إلى أن أطبقت نيڤين يديها على أذنيها وصاحت تطلب الهدوء.

شغلت السيدة هولاغ نفسها بكتيّب مصوّر «كاتالوغ» تسجل لائحة بما يعجبها منه وهي تتصفحه.. كان اليوم يوم سبت، وتمدّد اليوت على كرسي طويل ليقرأ صحيفة بعد أن أنهوا لتوهم شاي الصباح وتناولوه قرب بركة السباحة.. كانت الشمس مشرقة تَعِدُ بصيف مبكر، وجلست الامرأتان في ظل عريشة عنب.. ولم يبدُ اليوت منزعجاً من حرارة الشمس ولا من لمعان مياه البركة، حتى أنه لم يكن يضع نظارات شمسية.. لقد دفعه الصباح الجميل إلى ارتداء بنطلون قصير «شورت» وكنزة قطنية واسعة، لكنه كان يبدو أنيقاً تماماً كما في بذلته الرسمية المكتملة التفصيل.

وقبل أن تستطيع نيڤين إبعاد نظرها عنه ارتفعت رموشه، والتقت عيناه بعينيها، ورأت الشوق مرسوماً في عينيه.. فتلاشى هدوء الصباح.. قال بهدوء شديد:

ـ تعالي لنسبح.

ـ أنا لا أسبح إلا في أوج الصيف حينما تكون المياه دافئة.

ـ هناك جهاز للتدفئة الشمسية يبقيها هكذا طوال السنة.

ـ ليس لدي ثوب سباحة.

تحولت بسمته إلى شيء من السخرية:

ـ نملك دائماً الاحتياطي منها..

وقف وتقدّم منها، وجسدها مشدود رفضاً:

ـ من المؤكد أن نجد لك ما يناسبك.

حرقت لمسته ذراعها، وقالت: سيدة هولاغ..

3tt3.net

قالت المرأة المسنة دون أن ترفع نظرها:

- اذهبي واسبحي نيڤين، وإلا سيستمر في إزعاجك إلى أن تفعلي.

قال ببرودة: هيا إذن.

ردّت من بين أسنانها: حسن جداً.

سارا كالأطفال، يداً بيد عبر الغرفة الكبيرة التي تُستخدم كما قالت سالي للحفلات غير الرسمية.. «غرفة تغيير الملابس» كانت بنفس الفخامة..

فتح اليوت خزانة أدراج، وناداها:

- تعالي.. انظري ما يمكن أن تجدي.. عليك أن تجهزي خلال خمس دقائق.

نظرة سريعة إلى ساعتها قامت عنها بالقرار.. وهي تهمهم سخطاً انتزعت ملابسها، وانتقت ثوب سباحة أصفر اللون كان رائعاً عليها.

اتجهت رأساً إلى البركة وغطست فوراً تتجه إلى الطرف الآخر.. كان اليوت قد نزل إلى الماء قبلها، وكان مثلها منكباً على السباحة السريعة.

توقفت نيڤين أخيراً، لتجلس على الدرجة الأخيرة من سلم البركة، ترجع شعرها إلى الوراء.. وكأنها أعطت إشارة إلى اليوت ليلحق بها.. ولم يكن يلهث، لكنها استطاعت رؤية ضربات نبضه السريع والمتوتر في عنقه.

قال بخشونة:

- ترسل هذه البذلة بالكثيرين من العجائز إلى قبورهم.. سيموتون جميعاً من أزمة قلبية، أو ضغط دم مرتفع، أو من الغمّ.

لمجرّد أنك في عمر أحفادهم.. وأفكر في الواقع أنني قد أصاب بنوبة قلبية.. لكنني على الأقل لن أقلق حول الغمّ، لأنك في عمر يناسب عمري.

- وكم عمرك؟

ابتسم:

- ثلاثة وثلاثون.. وأنت في الخامسة والعشرين.. كما قلت عمرك مناسب.. أتشعرين بالبرد؟

قالت كاذبة: أجل.

تصل ثقته بنفسه إلى حدود الأنانية.. لكن واقع أن لديه كل مبرر لثقته بنفسه، جعلها تتكمش، ولمع في ذهنها صورة لأليوت، وتيفاني.. كان الألم الذي تسبّبه لجوفري، يقف بينهما وكأنه سيف مسموم.

كان اليوت حين خرجت إلى أشعة الشمس، مستلقياً على معدته فوق الكرسي الطويل نائماً، كان يبدو مسترخياً كقطة كبيرة، منبقظاً في كل عضلة من عضلات جسده يقظة لا تنام أبداً.

أحست بالسقم، خاصة بعد أن التقت عيناها بعيني أمه.. ولم يفدها أن رأت فيهما الشفقة.. أتظن السيدة هولاخ أنها واليوت على علاقة؟

قالت بعد الغداء تتسامر مع السيدة هولاخ:

- سيدة هولاخ.. أنا لست على علاقة مع اليوت.

ردّت السيدة بصوت ناعم:

- أعرف هذا.. في الحياة التي أمضيتها أتعامل مع الجنس البشري، تعلمت أن لا أتدخل أو أتحيز.

قالت نيڤين بحذر:

3tt3.net

ـ لم أرغب في أن تظني أن هناك شيئاً بيني وبينه من خلف ظهرك.

ـ أنت فتاة جيدة التربية.. شكراً لك. على أي حال البوت لا يخشاني.. فلو أراد أن يأتي بصديقة له إلى هنا، لفعل هذا بصراحة.

ـ أولن تعترضي؟

رفعت السيدة كتفيها:

ـ ولماذا أعترض؟ «هنتر زفالي» ملك له.. يمكنه دعوة من يشاء إلى هنا..

ـ أوه.. ظننت.. أنا آسفة، اعتقدت أنه لك.

ابتسمت العجوز:

ـ لا، لقد تركه والده له.. لقد كان نسخة طبق الأصل عنه، اشترى المزرعة وهي مهجورة، لا يقربها أحد. كان مالكها السابق يكسب معيشته بتقطيع شجر «المانوكا» وبيعه كحطب للنار.. ولم يعد منذ أن دفعنا ثمن الأرض لدينا مال لتطويرها، لذا اضطررنا إلى فعل هذا بأصعب طريقة.

أحست نيڤين بالاهتمام، حتى أنها لم تفكر بقسوة سؤالها:

ـ وكم كان عمرك يوم أتيت إلى هنا؟

ضحكت السيدة:

ـ سبعة عشر سنة، خارجة من المدرسة لتوّي.. كنت أعرف ما أريد، ولقد حاول والداي إقناعي بالتروي وبتقديم رحلة لي حول العالم، لكنني قلت إنني سأنتظر إلى أن أتزوج بيتر فنذهب معاً.

ـ وهل ذهبتما؟

ـ لا.. لقد مات.. رحل حبيبي بيتر الرائع المفعم حيوية بداء السرطان الذي لم يكن يعرف بوجوده. وأنا مسرورة لأنني لم أنتظر

حتى الواحدة والعشرين كي أتزوجه.

ظهر الألم لوقت قصير على وجهها، لكنه سرعان ما تلاشى، وتلألأت عيناها:

ـ كان يكبرني بثماني سنوات.. حاله كحال البوت، لا ينتظر أبداً مني صمْم على شيء، كان قاسياً، وعدوّاً لدوداً حين يغضب.. لكنه كان أفضل زوج في العالم، ووالد رائع لألبوت.. مع أنهما كانا يتصادمان دائماً.. ولطالما تساءلت كيف سأتدبر أمري حين يكبر البوت.

نظرت إلى نيڤين بابتسامة متجهمة.. وأكملت:

ـ لكن بيتر لم يكن موجوداً ليرى ابنه كبيراً.. كان سيكون فخوراً به.. وجاء بدلاً منه «مايكل هولاغ»، الذي صدمه تصرف البوت العنيد رغم أنه أحبه واحترمه.

كانت نيڤين ترغب أن تسأل لماذا تزوجت مرة أخرى. لكن المرأة أجابت على السؤال بابتسامة دون أن تسمعه:

ـ لأنني أعجبت به.. ولأنني كنت وحيدة، ولأنه أحبني منذ أن التقاني قبل خمسة عشر عاماً.. ولعدة أسباب أخرى، فكرة أن لا يحبني أحد مرة أخرى كانت تخيفني. وكان زواجاً ناجحاً، مع أنه فشل في تطبيع ابني.

أرجعت نيڤين خصلة شعر إلى الوراء.. وتابعت السيدة هولاغ:

ـ أنت تملكين نفس نزعته للحرية. لكنها بالطبع مغطاة جيداً.

ضحكت نيڤين:

ـ حرية؟

ـ لقد قلت إنها مغطاة جيداً. ويجب أن تتقبلي هذا، وإلا

3tt3.net

ستكونين معرّضة للأخطار في اللعبة التي تلعبينها معه.. إحدى أهم نقاط قوة اليوت هي قدرته على اكتشاف نقاط الضعف.. ولا يهم إذا كان يتعامل مع شركة، أو رجل، أو حتى امرأة. وهو لا يتوانى عن استخدام نقاط الضعف هذه للحصول على النتيجة التي يريدها.

كادت نيڤين أن تقضي بسرها إليها.. لكن حتى قبل أن تلتقي نظرتها أدركت أنها لن تستطيع طلب المساعدة منها. وقالت السيدة هولاغ بلهجة رضى واكتفاء:

ـ أجل.. لديك الكثير من الشجاعة.. فاعرفي نقاط قوتك.. ولا تستهيني بضعفك أبداً.. هذه هي النصيحة الوحيدة التي ستحصلين عليها مني.. والآن هيا اذهبي. سأرتاح قليلاً.. وبإمكانك الخروج إذا كنت تشعرين بضجر من البقاء في البيت.. خذي السيارة الصغيرة إذا أردت استكشاف المنطقة.. قالت لي سالي إنك سائقة ماهرة.. وهي ستُبقي عينها عليّ، لذا يمكنك أخذ بضع ساعات فرصة، دون إزعاج ضميرك.

لم تعد نيڤين قلقة على مريضتها، فقد كانت في تقدم رائع، ولا تستسلم للطيش.. في الواقع، هي لا تحتاج سالي في المنزل.

كان قضاء اليوت لمعظم أوقاته في أوكلاند أمراً جديداً على نيڤين. وكان لوجودها هناك أهمية كبرى، فمنذ وصولها وهو ينام في المنزل، حتى في الليالي التي يتناول فيها العشاء في أوكلاند، ولا يصل إلى المنزل إلا متأخراً.. لم يبدُ عليه أبداً التجاوب وهو يخرج تلك الليلة من مكتبه، ويلتفيها مارة ببابه.. كان يبدو متعباً وغاضباً، لكنه ابتسم لها وجابت عيناه وجهها بإعجاب.

ـ أوه.. تعجبني طريقة رفعك لذقنك حين تلاحظين وجودي..

ـ أوه.. اذهب إلى الجحيم!

ضحك:

ـ وهذا احتمال وارد.. تعالي لنقوم بنزهة في السيارة.

ـ لا.. شكراً لك.

ـ لكنني أصرّ.

تبادلت النظرات معه، ذقنه بارز، إلى أن ابتسم وقال:

ـ أعدك أن لا أضايقك.. إلا إذا طلبت مني.

قالت مترددة:

ـ أين.. ماذا سأرتدي؟

ـ تبدين ملعلة كما أنت.. لقد أهملت أصدقائي كثيراً في المدة الأخيرة، لكنني تلقيت بالأمس دعوة لهذا المساء.. سيعجبك الزوجان كروميل، إنهما يعيشان في «أوريوا».

ـ لكن أمك..

ـ تعتقد أنها فكرة رائعة.. لقد مرّ أسبوع ولم تأخذي فيه فرصة.. سنذهب إلى هناك للعشاء، فهما سيقيمان حفل شواء، لذا، إذا أردت أن تغيّري ملابسك فارتدي ما هو عادي.

بدّلت ملابسها في غرفتها، وكانت تمشط شعرها حين انفتح باب غرفتها ودخل عليها اليوت وكأن له كل الحق بالدخول.

فصاحت به معترضة:

ـ كان من الأفضل أن تقرع الباب.

ـ لقد قرعته، لكنك كنت مشغولة بالتمتمة لنفسك ولم تسمعيني.. ما بالك؟

ـ أوه.. إنه شعري، فهو كثيف جداً يكاد يدفعني إلى الجنون.

تقدّم ليقف خلفها، يمرر أصابعه في خصلة منه:

ـ إنه يعجبني.. فهو كالحرير..

3tt3.net

كان عليها أن تبتعد عنه.. ولزمها قوة إرادة كي تمرر المشط إلى الأسفل، متجهة إلى طرف الغرفة لتنتعل حذاءها.

ـ ألن ترد لي المجاملة؟

ـ لا تحاول تعذيبي اليوت.

ـ ولم لا؟ فأنت وتصرفاتك تعذباني.

أخافتها الكلمات، ولم تستطع مع ذلك إخفاء السعادة التي تصاعدت فيها.. فقال وقد ضاقت عيناه:

ـ أجل.. هذا يعجبك، أليس كذلك؟ تحت هذا القناع المتحجر أنت مزعجة، حلوتي.. صحيح أنني لا أماتع، بل أتمتع بمراقبتك تغزلين شباكك، لكن تذكري شيئاً.. لن تستطيعي التهرب.. وستكونين لي في النهاية.

ـ سننتظر طويلاً.

ـ أستطيع تحمل الانتظار.

* * *

٥ ـ لماذا تعذبني؟

كانت عائلة كرومويل تعيش فوق جرف صخري مرتفع، يمتد إلى الشمال من شاطىء «أوريوا» الطويل. تمتد أمامهم فسحة واسعة براقة من خليج «هاواركي» المزين بأشرعة متعددة الأشكال والألوان، ويبدو كذلك جزء من أسطول أوكلاند للياخوت.

كان المنزل عصرياً أنيقاً يظهر للعيان وكأنه معلق في الفراغ ما بين البحر الواسع والسماء.. يبدو المنظر خلاباً، وجميلاً جداً، إنما وجدت نيڤين «هانترزڤالي» أكثر أناقة وأكثر إرضاءً.. على أي حال، كان آل كرومويل أكثر من سعداء بمنزلهم، وبرؤية اليوت بكل تأكيد.

قدم نيڤين على أنها ممرضة لأمه، ورفيقتها. وهذا ما غتر بكل تأكيد النظرة في عينيّ جوك كرومويل إلى نوع من الإجفال، تشاركها مع زوجته.. لكن التردد لم يدم سوى لحظات تذكّرت على أثرها بات كرومويل واجباتها كمضيفة، فسألت وهي تقودهما إلى غرفة مطلة على البحر والسماء:

ـ كيف حال السيدة هولاغ؟

ردّ اليوت بصوتٍ جافٍ:

ـ بخير.. تعرفين أمي..

3tt3.net

ـ إنها غير معقولة.. أليس كذلك؟ والآن نيفين، أقدم إليك «غي براندون»، وهذا «ريتش».. تعرفان طبعاً اليوت.. وهذه نيفين ستيوارت.

كان الأخوان براندون أشقرين متماثلين، المرأة أقصر بإنش أو اثنين من شقيقها، وتلقت نيفين من الشاب ابتسامة لطيفة، وتحية حارة.. بينما تركزت عينا غي على اليوت، وكان في عينيها نظرة أغضبت نيفين. لكنها أكملت تبادل التحيات مع ريتش براندون، ولم تعره اهتمامها ولم تع ما كان يقوله لها إلى أن أجلسها إلى الصوفا يسألها:

ـ كم مضى عليك في «هاتترزفالي»؟

ـ منذ عودة السيدة هولاغ من المستشفى.. وسأغادر حين يقرّر طبيبها عدم حاجتها إليّ..

كانت ابتسامته تغازلها بوضوح: من أين أنت؟

ـ من أوكلاند.

ـ وأنا كذلك.

كان صوته يوحي بأن كل هذا مصادفة غريبة. وأجابت:

ـ لا أجد هذا عجيباً بما أنها أكبر مدينة، والوحيدة هنا.

ـ لا تثأثري هكذا.. كنت فقط أحاول إيجاد رابط بيننا.

ـ اعتبره موجوداً.. فكلانا من أوكلاند، وكلانا من البشر، ونتكلم الإنكليزية.. وكل هذه روابط كثيرة إذا فكّرت بها.

استخدم جسمه لإخفاء بقية الغرفة عن نظرها وقال متذمراً:

ـ أنت لا تأخذين هذا على محمل الجد! إذا كنت ستكونين غير مهتمة فكيف يمكن لي أن أقنعك هذه الليلة بالذات، وقبل أن تغادري، أنك تعرفينني بما يكفي لأن تخرجي معي؟

ابتسمت:

ـ لن تفعل.. إنما تصرف الآن بأدب، فمن غير اللائق أن تدير ظهرك لمن في الغرفة.

ـ ليس وبقية الغرفة فيها اليوت آبكوت.. أعتقد أنك مثل كل النساء اللواتي أقابلهن، بما فيهن شقيقتي، تحبون هذا الرجل بجنون.

جاء صوت اليوت مرحاً ومعه كوب عصير لنيفين:

ـ يا للأسف، أتمنى لو كانت تحبني.. لأن للسيدة شخصية طاغية.

قال ريتش بمرح فظ:

ـ أوه.. حسناً، إذا كان سحرك الشهير لم يقنعها فاذهب من هنا ودعني أحاول بدوري معها.

قالت نيفين بلطف مع قليلٍ من الحدة:

ـ أنا لا زلت هنا!

أجفل ريتش:

ـ هل كنت فظاً معك؟ آسف..

ـ كلاكما كان فظاً.

لمعت عينا اليوت بإعجابٍ ساخرٍ، وبادرها ريتش بالقول:

ـ بدأت تذكرينني بالسيدة التي سبق أن علمتني أول مرة دخلت فيها إلى المدرسة.. كانت عيناها حمراوين وطولها خمسون قدماً. ولها نزعة شريرة في سلخ جلودنا بسرعة فائقة.. أكانت تمتّ لك بصلة ما؟

ـ بكل تأكيد.. والآن نيفين، اتركي هذا المهرج وشأنه وتعالي لنسعِدَ قلب جوك ونبات في التمتع بالمنظر المطلّ على منزلهما..

3tt3.net

وأنت شهقة الإعجاب كما كان يتوقع المضيفان.. وتنفست نيڤين الصعداء تستوعب عيناها المنظر:

ـ أوه.. إنه رائع.

كان المنزل مبنياً على بعد قليل من حافة الجرف الصخري الخالي من أي حديقة أمامه.. فهو مجرد غابة صغيرة من الأشجار الاستوائية «اليوهوتوكاوا».. خضراء وفضية تلمع بعد أن يحركها الهواء العليل.. يأتي من خلف الأشجار ماء خليج هانفبلد وكأنها شاطىء رملي بحد ذاته، يمتد أمامها مباشرة رأس صخري آخر ملي، بأشجار الصنوبر يتآلف مع شاطىء رملي صغير عند أقدامه.

همست نيڤين:

ـ وكأن المرء يعيش في مركب «غندول» أو في بالون.

هزت بات رأسها حماسة:

ـ أو على مقدمة سفينة.. يبدو المنظر مذهلاً في الليل ونحن نحب العيش هنا.

قالت نيڤين:

ـ يذكرني باليونان.. التلال المرتفعة والصنوبر.. لكن الأشجار هنا أكثر كثافة والتلال أكثر خضرة مما كنت أراها في اليونان.. ويشبه لمعان الزيتون الفضي هناك لمعان «اليوهوتوكاوا» والطقس فيه لا يحتمل تماماً مثل هنا. لقد توليت آنذاك قيادة سيارة ثمان عبر طريق للماعز جنوبي «باروس» ثم خرجت لأبكي بين الصعتر والمردقوش البري والقصعين لأنني كنت مشتاقة جداً لموطني.

بدا العجب على غي براندون:

ـ حقاً؟ أنا لم أصل يوماً إلى باروس، لكنني أحببت مايكونوس. ولم أرغب في أن أغادرها بتاتاً..

وطفق الجميع يروي شيئاً عن عطلته، الجميع باستثناء اليوت ونيڤين. فسرعان ما أحست بالحرج لكشفها.. وحاولت التركيز على ما كان يقال، لكن انتباهها ذهب سدى فقد كان يأسرها الرجل الماثل أمامها..

التفتت غي إلى اليوت مبتسمة:

ـ ماذا عنك اليوت؟ لا شك في أنك سافرت أكثر منا كلنا مجتمعين، فما هو مكانك المفضل؟ أهو مكان خفيّ معزول في جزر السيشل؟ أم كوخ تزلج في سانت موريتز؟

قال:

ـ إنها قرية صغيرة لا تبعد كثيراً عن لندن.

أصبحت ابتسامة غي مزيجاً من التشجيع واللهفة:

ـ لا تكن مثيراً للسخرية.. أخبرنا عن السبب.

وكانت نيڤين لحظتها مستعدة لدفعها من النافذة المفتوحة، دون ذرة ندم.

ـ لدي ابن عم يعيش بعيداً هناك، وهو مكان جميل على الطراز الإنكليزي وأفضل ما فيه الحفلات التي يقام فيها سباق للخيول الصغيرة.

حين بدا واضحاً أنه لن يكمل حديثه توسلت إليه بات كروموبل ضاحكة:

ـ أوه.. تابع اليوت.. أنت مزعج في مزاحك.. نحن بلهفة لسماع السبب.

ضحك لمضيفته ثم قال بصراحة مثيرة:

ـ لقد رأيت حب حياتي لأول مرة هناك طبعاً.

كان الضحك الذي استقبل هذا حذراً، ولم يدرك أي منهم إذا

3tt3.net

كان يمزح أم لا.. وسألته «غي» برقة:

ـ حقاً؟ ومن هي المرأة المحظوظة؟

ـ ستضطرين للانتظار لمعرفة هذه المعلومات كما أخشى.. فأنا ألاقي صعوبة في إقناعها بأنها هي المحظوظة.

بدا واضحاً أن أحداً لم يصدقه، ولا عجب في أنه كان يبدو مغروراً.. وانتقل الجميع إلى شرفة أخرى.

اعترفت بات، بعد أن لاحظت نظرة نيڤين إلى بركة السباحة وإلى ينبوع الماء المجاور:

ـ أعرف أن البحر لا يبعد أكثر من عشر دقائق عن الصخور، لكن الطريق إليه شديدة الانحدار والبحر دائماً أكثر برودة من البرك.. ونحن نحب الراحة التي صنعناها بأيدينا.

قال اليوت ساخراً: يا للترف.

ابتسمت بات له.

ـ أوه.. كلنا نعلم بأنك تسبح في برك البراري الباردة كالثلج. لكن حتى أنت أيها الرجل الفولاذي لديك بركة سباحة مياهها ساخنة.. اجلسي نيڤين.. هل شاهدت نيڤين بركة سباحتك الخاصة اليوت؟

انضم إلى نيڤين ليجلس فوق أريكة براقة المفارش:

ـ ليس بعد..

ـ يجب أن تفعل.. إنها جميلة جداً.. بركة فوق أفريز صخري عريض على تلة خلف المنزل يحيط بها دغل كبير، ونبع شلالها الذي يغذيها بالماء.

ابتسم جوك كروموبل لزوجته:

ـ إنها ملساء، شديدة الانحدار حتى أنني اضطررت إلى دفعك

صعوداً لو كنت أذكر جيداً.. وأذكر أن اليوت رفض مساعدتي يومها.

تبادل الزوجان واليوت الابتسام. وسألت غي:

ـ أين هي تلك البركة؟ لماذا لم أرها؟ أكنت تخفيها عني اليوت؟

قال ببرودة:

ـ من الصعب الوصول إليها.

غمز جوك نيڤين وقال: لقد سبق أن قال اليوت لبات بأنه تعلم السباحة فيها وهذا السبب الذي دفعنا إلى الذهاب إليها، وحين وصلنا إليها أخيراً لا شيء استطاع أن يقنعها بغطس قدمها فيها.

قالت بات بسخط ضاحك:

ـ لقد بدت شديدة البرودة! ثم إنني أردت الذهاب لأن اليوت أخبرني عن وجود بعض الزهور المحلية هناك في الدغل.. المكان جميل جداً مع شجرة «نيتوكي» الضخمة القائمة فوق ضفة معشوشبة فيها حبل طويل مدلى من أحد أغصانها، بحيث يمكن لأي شخص شجاع بما يكفي للسباحة فيها، التأرجح فوق البركة ثم القفز من علوٍ شاهقٍ!

ارتجفت بات.. والتقت عينا نيڤين بعيني اليوت.. وأدركت ما يعنيه ذلك الحبل..

وتحول الحديث إلى نقاشٍ عن معرض فني في أوكلاند، وأصغت نيڤين بصمت.. انتقل الحديث من الفن إلى الأبحار وبعض القيل والقال، ثم عن الباليه الإنكليزي، وعن أفضل طريقة لطهو السمك المحيطي.. وأخيراً إلى آخر صانعة خزف اكتشفتها بات.

ـ إنها رائعة! لقد اخترعت أشياء خيالية من الخزف. واشتريت

3tt3.net

منها إحدى القصاع التي صنعتها، وكانت كالسيمفونية بل كالشعر.. إنها معجزة مثل غروب الشمس!

مازحتها غي لحماستها، لكن البوت سألها عن اسم صانعة الخزف:

ـ اعتقدت أنك ستهتم.. اسمها كارين غرابنجر.

سألت غي باهتمام:

ـ زوجة ديك غرابنجر؟

ـ إنها هي.. أنت تعرف ديك، يا البوت، أليس كذلك؟ كنتما في المدرسة معاً؟ كارين هي ابنة زوج أمه، وكانت ممثلة في أوستراليا قبل أن تعود إلى هنا لتتزوجه وإيلا شيريدان هي أختها من أبيها.

تمايلت غي إلى الأمام:

ـ زوجة غوركي؟

وضحكت ضحكة مصطنعة، ورفعت نظرها إلى السماء:

ـ أوه.. غوركي رجل رائع.. وصُدمنا جميعاً حين تزوج لأول مرة.

وانطلق الجميع يحدثهم عن أشخاص كانوا بمثابة أسماء مجهولة لنيقين.. مع أنها كانت أحياناً تتعرف إلى الأسماء عن طريق الأخبار، أو في قسم المال.

وصل المزيد من الضيوف إلى العشاء، أناسٌ لطفاء ضحكوا وعانقوا، وتناولوا ما لذّ من الطعام.. وتمتعت نيقين بوقتها وحيدة.. لم تكن جميلة مثل غي.. ولا مرحة مثل الفتاة الأخرى الوحيدة التي لا يرافقها أحد، والتي سرعان ما ارتمت بين ذراعي البوت ساعة وصولها.

وغابت الشمس بينما كان كل هذا يحدث، وحطت ببطء في بحر ذهبي وقرمزي.. وهبّ مع أفولها نسيم بارد.

سألها الرجل المجاور لها فيما كانا يتحدثان:

ـ أتشعرين بالبرد؟ سأدفئك.

لم تستطع وهما مختبئان خلف ستار تجنب الذراعين اللتين أحاطتا بها فجأة. وأدركت بأنه لا يجد صعوبة تذكر في الانتقال من الحديث عن التجارة إلى الغزل والعبث.

وردت بلطف:

ـ لو تركتني وشأني، لحصلت على شيء ألبسه ووجدت ما يدفئني.

ـ لكنني سأبقيك دافئة.

ـ أخشى أن لا أكون راغبة.. في الواقع، إذا لم تتركني فسأضطر إلى رفسك على ساقك، وسأشرح للجميع عندما تقفز متألماً عن سبب اضطراري لما فعلت.

وصل الاشمئزاز في صوتها إليه، فأرخى ذراعيه عنها وتراجع:

ـ لا داعي لهذا.

وتراجع مرة أخرى.

تقدم البوت دون محاولة إخفاء البرودة الفولاذية في صوته وقال:

ـ توم.. زوجتك تبحث عنك.

نظر إليه توم مجفلاً. ثم تمتم شيئاً، وعاد إلى المحتفلين.. وأحست نيقين بالسرور لأنه جاء يبحث عنها.

ـ شكراً.

ـ لا داعي للشكر.. لقد تصرفت معه بشكل يثير الإعجاب..

3tt3.net

لكن حاولي أن لا يجرّك أحد إلى مثل هذا الموقف.. فربنش ينتظر مثل هذه الفرصة.

إنه غاضب.. أجفلها غضبه، لكنها مدت يدها لتلامس ساعده. فارتفعت يده الأخرى لتغطي يدها، ورفعت لحظتها فقط رأسها لتنظر إليه. إنه مخيف، بشرته مشدودة فوق بنية وجهه بشكل جميل، وتلمع عيناه ببريق فاتن كالذهب.

قال:

ـ لا أحب أن يلمسك أحد. هذا يؤلمني.. أنا أعرف توماس منذ سنوات، إنه شاب لطيف.. حتى زوجته تضحك على ميوله إلى العبث.. لكنني كدت أقتله.. تعالي، حان وقت رحيلنا.

تقدمت بات مبتسمة بخبث:

ـ آه.. ها أنتما.. لو تركت نيفين لي لجعلتها ترى تلك التحفة الخزفية التي صنعتها كارين غرينجر.. أنا أبقيها في غرفة نومي حين أتمتع بها.

ـ هيا.. اذهبي معها نيفين.

كان صوت البوت ناعماً، وتنفست نيفين بعمق قبل أن تتبع المرأة إلى داخل المنزل.

قالت بات معلقة بخفة:

ـ إنه رجل متسلط.. أليس كذلك؟

ـ إنه غاضب مني.. لقد تصادمت مع توم، ووصل البوت ليراني أحاول تخليص نفسي.

ـ أوه يا عزيزتي.. توم مزعج أحياناً! أنا آسفة.. لكن من السهل جداً إبعاده.

ـ لم يكن هذا أمر عاقل مني.

ـ عزيزتي، كيف لك أن تعرفي؟.. البوت ليس ذلك المتعصب حتى يصدق أنك شجعته، فهو يعرفه. لكن لا شك أنه غضب منه لتحرشه بك.. هاك.. ما رأيك بقطعتي الخزفية؟

كانت قطعة رائعة رقيقة كالخزف الصيني، مكسوة بطلاء ذهبي وأحمر.

قالت بات

ـ هيا.. المسيها.

راقبتها بابتسامة رضى وهي تداعب الآنية بمحبة. وعادتا بعد دقائق الإعجاب إلى التراس.. ووصلتا في الوقت المناسب لتريا الشقراء المثيرة التي عانقت البوت بشوق ساعة وصولها، تجلس قربه وتداعب وجهه المبتسم.

وارتفعت الهتافات وتعالى الصفير ترحيباً بهذا العرض، وعدت يدا البوت لتمسكا بخصر الفتاة.

مزقت الغيرة البدائية المدثرة أحشاء نيفين، فتجاهلت تعليق بات الساخر مجبرة نفسها على الانحناء وكأن شيئاً علق في حذائها.. وكان البوت حين استقامت مجدداً يبتسم لوجه الشقراء ل أن يبعدها عنه، وتمتم بشيء جعل من حولهما ينفجرون ضاحكين..

استدارت الشقراء وهزت قبضتها في وجهه، لكنها كانت تضحك وتميل عليه بحرية لتثبت بأن العلاقة تتعدى الصداقة.

قالت بات متذكرة واجباتها كمضيفة:

ـ أوه.. هذه مارجي! لا تستطيعين سوى أن تعجبي بها.. لا شك أنك تحتاجين إلى كوب عصير آخر.. لنر ماذا يمكن لجوك أن يقدم لنا.

3tt3.net

تقدم البوت نحو نيڤين وهي نصف مختبئة، كيانها كله في عزلة تامة.. قال وعيناه الساخرتان لا تفوّتان شيئاً:

ـ لا تأكليني بعينيك! وإلا بدأ الناس يتساءلون ما إذا كنتِ أكثر من ممرضة لأمي.

ـ وهذا لا ينفع.. أليس كذلك؟ يمكن أن أتصور أنهم الآن يتساءلون لماذا ليست ممرضة أمك مع أمك؟

كانت الكلمات الباردة مثقلة بازدراء النفس.. أجبرها منظر غي التعيس أن تدرك ما ستواجهه لو سمحت له بأن يدفعها إلى حبه.. الوهم والألم هما بالضبط ما يعاني جوفري منه لجرأته على أن يحب حيث خذلته الحكمة.

قال متمتماً:

ـ أنت جميلة، رهيبة، ومتحجرة القلب.. أصدقائي على صواب ولن يظنوا شيئاً غريباً حول ممرضة مخلصة تأخذ قسطاً من الراحة.

ـ وبالطبع.. هم معتادون على رؤيتك مع امرأة في عهدتك.. في الواقع سيظنون أن من الغرابة لو أن البوت آبكوت الذي لا يقاوم..

ـ إذا كنت ترغبين في مشاجرة أو مشاحنة، فسوف أشبع رغبتك ونكمل جدالنا في السيارة شرط أن تلتزمي الصمت حتى ذلك الوقت.. وإلا جادلتك الآن وعندئذ سيكون للجميع مادة يتحدثون عنها.

كان التهديد أكثر تأثيراً وهو يقال بصوتٍ باردٍ غير مهتم.. وابتلعت نيڤين ريقها لتربح غصة عالقة في حلقها، قبل أن تطيع اليد التي دفعتها نحو مضيفيهما.

كانا بعد عشر دقائق على طريق العودة إلى الوادي.. وحدقت نيڤين بتمردٍ عبر الزجاج الأمامي، بينما كانت أنوار الفيراري الأمامية تقطع الظلام الشديد أمامهما، وتشل حركة بعض مخلوقات الليل.

ابتعدا ليتجها إلى الداخل عبر طريق ريفية خلفية. ووجدت نفسها رغم إرادتها تُعجب بقيادة البوت.. بدا أنه كان يعرف بالغريزة كيف يدير السيارة الكبيرة دون ضجيج حول الزوايا الضيقة، وعبر الخطوط الضيقة التي تجعل من الطريق خطيرة.

قالت بهدوء:

ـ توليت قيادة السيارة حين كنت في إيطاليا.. مع بعض الأصدقاء عبر الجبال في الشمال.. إلى أن وصلنا إلى قسم مرتفع جداً في منتصف الطريق واكتشفت أن أجزاءً من الطريق قد انزلقت، تاركة مسافة للطريق في اتجاه واحد، دون حافة.. وبدا أن النصف الآخر من الطريق قد ينهار في أية لحظة.

ـ و..؟

ـ و.. كان الثلج قديماً تماماً، ولم نكن نعرف ما إذا كان سيصل القمة أم لا فيما لو توقفنا.. وما من مكان نستطيع أن نستدير فيه لنعود أدراجنا، كان المطر ينهمر بشدة وأحسست بالرعب.

تنهدت متذكرة كم كانت خائفة، وفاقدة الثقة.

ـ لكنني لم أكن خائفة بقدر الآخرين.. وحاول الشباب إعطائي النصيحة بدون إحباطي، وأغمضت صوفيا عينيها فقد كانت معي..

قال يقاطعها بصوتٍ حادٍ:

ـ أذكرها.. وهل أنت سائقة سيئة إلى هذا الحد؟

ـ لا.. بل أنا سائقة ماهرة، لكن الرجلين كانا مقتنعين أن المرأة هي أقل قدرة من الرجل، خاصة في القيادة..

3tt3.net

ـ يبدو أنهما صغيران جداً.

ـ أكبر مني بقليل.

ـ وكم أمضيتم من الوقت؟

ـ ثلاثة أشهر.. كان الوقت قصيراً لا يكفي لأن أرى كل شيء في أوروبا.. لكن على الأقل حفظت ملياً الأماكن التي سأعود إليها.

تلاشى التوتر بينهما مع بدء تحدثه عن الأماكن المختلفة التي زارها في أوروبا.. وتعجبت مرة أخرى لسهولة الحديث والتحاور معه. وضحكت نيلين حين تذكّرت اليوم الذي عانقها فيه إيطالي ولهان، في أحد أشهر مقاهي روما..

وقاطعها اليوت سائلاً:

ـ وما كان رأي صديقك بهذا؟

أهي لهجة تمرد أم برودة؟ أهو احتقار؟ وردّت عليه بتصلب:

ـ لقد ضحك الشابان طبعاً.. وماذا تظن أن عليهما أن يفعلا؟ أيضرباني؟

ـ كنت سأفعل هذا.

أرسلت الملاحظة الواضحة رجفة في أوصالها، فأدارت وجهها لتنظر إلى حنايا وجهه. من غير المجدي أن تحاول الشرح له، لكنها فعلت:

ـ لقد فعل هذا بخفة.. كان يمازحني.. خفة روح منه.. ولم يكن من حق أي من الشابين أن يعترضا. كنا نسافر سوياً، لا أكثر ولا أقل.. وللحماية المشتركة.. أوه.. ما الفائدة!

ـ لا شيء.. لا شيء أبداً.. أمي تقول لي إنني كنت أشعر بالتملك قبل أن أفكر بكلمة «لي».. أنا لا أتشارك مع أحد خاصة في

النساء.

ـ لكنني لست واحدة من نسائك.

ـ لا.. أنت الوحيدة.. ولا شيء أستطيع أن أفعله.

وضحك.. ولو من غير مرح.

ـ لو تلقيت تحذيراً بأنني سأقع في الحب من أول نظرة، لسخرت من الجميع... ثم حدث لي هذا... فبعد نظرة واحدة عرفت أننا لبعضنا وبأنني وجدت أخيراً امرأتي.

سألت بنعومة وقوّة:

ـ حب؟.. حب.. اليوت؟

ـ سمّيه ما شئت.. فهو موجود.

ـ أسميه الرغبة، اللهفة، الجشع.. هذا ما هو عليه.. الاندفاع الأعمى نحو الغرائز.. هذا إذا كنت تريد أن تكون مهذباً.. ماذا...؟

توقفت السيارة.. ونظرت نيلين لتدرك أنهما توقفا في منطقة واسعة، نائية عن الطريق خلف كومة كبيرة من الحصى.

قال اليوت:

ـ سوف يقومون الطريق ويعيدون تسويتها.

تصاعد صوت انفتاح قفل حزام المقعد في السكون. ورأت نيلين بعد أن اعتاد نظرها على نور ضوء القمر، النوايا التي ارتسمت على قسمات وجهه، وسألته متوترة:

ـ لماذا توقفنا؟

رد ساخراً، يفك حزام مقعدها بسرعة:

ـ أوه.. نيلين

أمسكت بالحزام وهو يمر قرب جسدها. وقالت:

3tt3.net

ـ أحذرك.. إذا كنت تظن أنك قادر..

ـ حبيبتي.. سوف أوضح فقط تفسيراً خاطئاً، أو اثنين. وهذا ما أظن أنه ضروري في علاقة ما، ألا تعتقدين هذا؟

احتجت حين فتح بابها، لكنه أخرجها من مقعدها بلطف، ووضع ذراعه حول كتفيها.. قائلاً:

ـ السيارات مكان غير مريح.. على أي حال، لا يمكن للشحاذ أن يشترط.

ـ لقد وعدت أن لا تلمسني.

ردّ ساخراً:

ـ واضح أنني غير أهل للثقة..

قاطع محاولاتها للهرب بأن دخل السيارة ثم جرّها خلفه.. وأخفضت رأسها لتتجنب السقف، وانتهى بها المطاف بين ذراعيه..

تنفست بصعوبة:

ـ لن تجرؤ.

ولكن سرعان ما ضاع غضبها في سجن ذراعيه القاسيتين، وبخضوع لا مثيل له.

همست، والدموع تعمي عينيها:

ـ لماذا؟ لماذا تعذبني هكذا؟

ضحك ضحكة غريبة:

ـ لست وحدك من تعانين.. ألا يمكنك الإحساس بألمي؟ أنا أريدك، أريدك.

قالت متخدرة الإحساس:

ـ أنت تطلب المستحيل.. ما كان يجب أصلاً أن أكون في

منزلك ثم إن جوفري قريب من حافة اليأس والقنوط ولن أفعل شيئاً قد يدفعه أكثر.. لن تكون لي علاقة معك.. فهو سيعرف عاجلاً أم آجلاً، وقد تحاول إقناعي بالزواج منك..

تفرّس بوجهها الشاحب:

ـ لا علاقة للزواج بهذا..

أجفلت لكنها لن تعترف ولو كلفها الثمن غالياً:

ـ أعرف.. وهو غير وارد، مثله مثل أي علاقة.

سأل بهدوء:

ـ ما هو الوارد إذن، أهو خوفك من فقدان سيطرتك على نفسك.. لماذا حبيبتي؟

كان التوتر المجروح فيه يصل إليها.. وهي التي تخاف من هذا الضعف الكامن فيها.. فبإمكانها التعاطي أكثر مع كلمات الحب المجنونة التي يطلقها أكثر من تعاطيها مع لطفه الخطير.

أطبقت أسنانها على شفتها السفلى، وشعرت فجأة بالغثيان والغضب والغدر.

تنهدت، فربما هذا الإحساس هو أفضل من الخوف.. كانت تظن أن خطر اليوت بالنسبة لها جسدي فقط، وأنها تواجه خطر نيران الرغبة المشتركة.. لكن تعليقه الأخير بعيد النظر جداً.. وبقيت جامدة، تحس بضربات قلبه المنتظمة، وتأمل أن يكون قوله رمية من غير رام.

وأثبت تحرّكه الذي تلا بأنها مخطئة:

ـ لقد كنتِ خائفة منذ البداية.. وظننت أنا أن السبب هو أنك لم تدعي من قبل بمثل هذا التجاذب. ولقد سررت لهذا، لأنني لم أرد امرأة مثلما أردتك.. لكن الأمر لم يكن هكذا تماماً.. صحيح؟ لقد

3tt3.net

كنت خائفة من الأحاسيس نفسها، وليس مني فقط.. فما الذي جعلك تقررين بأن الرجال قد يؤلمونك فقط، نيڤين؟

وتساءلت في قرارة نفسها لماذا لا تقوله له؟ أمن السهل القول بدل الاستمرار في مقاومة الصمت.. قالت في صوتٍ يخلو من الإحساس:

ـ لا نقع في الحب في عائلتنا.. بل نقع في الهوس.. أصبح والدي حين كنت في السابعة عشرة من عمري مخبولاً ومهووساً بحب فتاة أكبر مني بثلاث سنوات.. فتركنا وعاش معها.

ـ كان هذا أمراً صعباً.. لكنه يحدث.. يحدث طوال الوقت. ويسميه الأميركيون باضطرابات وجهل منتصف العمر.

ـ هل كان هكذا حقاً..؟ لقد قتلته.. كانت فاسقة.. عاشت معه سنة، واستولت فيها على كل قرش يملكه، حتى أنه باع المنزل ورمى أمي في الشارع.. ليس بالضبط لكن كان عليها أن تجد شقة وعملاً، وكنت أنا في مدرسة داخلية، لكن لم يعد هناك من مال لأكمل تعليمي ثم تركته بعد أن سلبته كل ماله ورحلت لأحضان رجل آخر أكثر ثراء منه ولم يكن لديه مكان يلعب إليه. فعاد ليجلس دافناً بحياته نحو الموت.

لم يردّ.. فرفعت رأسها تنظر إلى قسمات وجهه الكاملة.. وتلعثمت بالكلمات التي أنهت فيها كلامها:

ـ لم يستطع مواجهة الحياة من دونها.. واضطررنا للوقوف متفرجين وهو يقتل نفسه شيئاً فشيئاً..

قال بلهجة رسمية جافة، لا تكشف ولا تنمّ عن معنى:

ـ وتظنين بأن الحالة سوف تتكرر وتحصل مع جوفري؟

خافت من ترجمة مخاوفها السرية إلى كلمات.. ومررت

لسانها متوترة على شفتيها، وقالت:

ـ كان يحبّ تيفاني حتى الجنون.. واستولت على كل ما كان لديه ورمت بحبه في وجهه.. لقد قالت.. قالت..

ضمها إلى صدره وهي تبكي غضبها وخوفها، دون محاولة التخفيف عنها إلى أن أخذت تشهق بصمت من شدة مبالغتها في البكاء.. ثم رفع رأسها ومسح دموعها بمنديله.

قال بلطف:

ـ يا حبي المسكين الصغير.. كل هذا القلق والخوف! بقدر ما يستأهل قلقك بقدر ما بالغت في تقدير عمق مشاعر أخيك نحو تيفاني، ومدى قدرته على استعادة عافيته من تلك المشاعر.. أنا أؤمن أن الحب هو حب حقيقي حين يكون متبادلاً.. وتيفاني لم تكن تحب جوفري.. لذا مهما كان يشعر نحوها مع شدته، لم يكن حباً.. أعرف أنك لن تصدقيني، لكن تأكدي أنه تغلب على الأسوأ.. أخبرني ممثلي الذي يتعامل معه أنه مرتاح جداً ولم يعد يظهر عليه دلائل من يتجه إلى انهيار عصبي.. أما والدك..

توقف للحظات قبل أن يتابع بهدوء:

ـ.. أظن أن والدك مات بسبب كرامته.

ـ كرامته؟ لم يعد لديه كرامة!

ـ بالضبط.. لقد جرحته في كرامته، جعلته يبدو أبلهاً ولم يستطع تقبّل هذا.. ولا تستخفي أبداً بقوة جرح الكرامة.. لقد قتلت الكثيرين مثلها مثل الطمع.. لقد مات لأنه لم يكن قوياً بما يكفي لمواجه العالم الذي يجده سخيفاً.. لكن جوفري ليس سلبياً إلى هذا الحد.

نظر إلى وجهها المذهول وابتسم:

3tt3.net

ـ أنا أتطلع شوقاً لمقابلة أمك.. أظنك وأخاك قد ورثتما الكثير عنها.. فأنت لست ضعيفة نيفين. بل ناعمة كالحرير، رائعة.. ولا تصدّقين في أعماق قلبك جوفري مع والدك.. أستطيع سماع الإشفاق في صوتك حتى حين تتكلمين عن والدك، لكنني لا أجد شيئاً منه حين تذكرين جوفري.

تساءلت نيفين وهما عائدان إلى المنزل بصمت، يحمل في طيانه تواصلاً هادئاً لا كلمات فيه.. فيما لو كان اليوت محقاً في تحليله لأبيها.. وتذكرت لطفه معها غير المتوقع، مع ذلك لم يكن غريباً عن شخصيته. لديه لطف وعذوبة القوي الذي لا ينهار أبداً.

وأدركت ببطء.. أن ما تشعر به نحوه يجب أن يكون حباً.

همست لنفسها بغضب:

ـ أوه.. أيتها البلهاء.. أيتها المغفلة الكبيرة.

لم تكن عملية الاعتراف بحبها سهلة، كانت الفكرة في البداية مناقضة تماماً للطريقة التي أدارت فيها حياتها حتى الآن. لطالما كانت تخشى المشاعر.. ويستحوذ عليها نوع من الرعب للقوة التي يمكنها أن تنطلق من مثل هذه المشاعر. حتى عائلتها لم تسمح لها بالاقتراب هكذا منها.. لقد سبق أن قالت لأليوت إنهم عائلة لا تحب المظاهر ولا التفاخر، وهذا صحيح. إنما في حالتها هي، كان الخوف الأساسي من أن تتألم أو تتأذى هو الذي يزيد من قوة التحفظ الطبيعي فيها.

لكن الألم حصل.. إنه ألم سببّه غدر قلبها.. وكان عقلها هو من أعطاها الإذن أخيراً.

وأظهر عليها الكفاح في مقاومة مشاعرها قلقاً.. ونظرت السيدة هولاغ إليها بحدة وسألتها:

ـ هل تفكرين بشيء ما؟

ـ لا.. لكنني لم أنم جيداً.

بدا أن السيدة تقبلت الرد، وقالت:

ـ أتشعرين بقدرة على قيادة السيارة؟

ـ أجل.. بالطبع.

وخرجتا مع سالي إلى الساحل، حيث سبق أن اشترت السيدة هولاغ فيلا قديمة خربة، فيكتورية الطراز، كان من الواضح أنها لا تستطيع الانتظار إلى أن تصلحها وتعيد ترتيبها، وأعلنت لسالي المتحمسة مثلها أنها المكان المناسب للأحفاد.

لم يعد اليوت ليلتها إلى المنزل.. ووجدت نيفين نفسها بعد العشاء تتجول في الحديقة، غير آبهةٍ للصور الجميلة التي ابتدعتها السيدة هولاغ هناك.. وازداد قلقها فأمسى لا يحتمل..

عادت إلى المنزل لتقابل سالي داخل باب المطبخ تماماً وأشارت سالي للدرج الصاعد إلى الطابق الثاني:

ـ نيفين، أظن من الأفضل أن تلقي نظرة عليها.. إنها مهناجة..

ـ سالي.. بيني وبينك، يمكن أن أقول إنني من المحتمل أن أصاب بصدمة جنون أكثر من السيدة هولاغ.. وحدها شحنة ديناميت يمكن أن تميتها.. هل أنت حقاً قلقة؟ أنت تعرفينها حق المعرفة أفضل من أي كان ما عدا اليوت.

ـ بل أكثر منه.. أجل، أعرف أنني أتفعل بسرعة، ولست قلقة حقاً.. لكنني سأشعر أفضل حالاً لو قمت بفحصها.. إنها فوق رسم الخطط!

ـ لماذا قررت شراء منزل جديد؟ اعتقدت أنها تحب الوادي.

3tt3.net

قالت سالي بنظرة ذهول أجفلت نيڤين:

ـ حسناً.. سيتزوج اليوت عاجلاً أم آجلاً والوادي منزله.. الشقة في أوكلاند جميلة وكبيرة، لكنها ليست المكان المناسب لتربية عائلة.. وهي تعرف تماماً أن ما من عروس ستتقبل بلطف السكن مع حماتها.. إضافة إلى هذا إنها تحب ترتيب الأماكن، كان يمكن أن تكون مهندسة ديكور ممتازة.. لا شيء هنا لتفعله وسيعطيها المنزل الجديد دافعاً جديداً أو حافزاً رائعاً للحياة..

ليس هناك أي شك في هذا.. وكانت السيدة هولاغ تضع في غرفة نومها ملاحظاتها على تقرير المراقب. وابتسمت لنيڤين حين رفعت رأسها ابتسامة كشفت أنها تعرف بالضبط لماذا جاءت وقالت:

ـ سالي عجوز ثرثارة.. وأنا لم أشعر هكذا منذ سنوات.

ـ صحيح.. لكن ربما تكون فكرة جيدة لو تمكنت من النوم الليلة أبكر بقليل من المعتاد.

ـ وماذا عنك؟ أتحسين بالقلق؟ رأيتك تتجولين في الحديقة. لماذا لا تخرجين لتتمشي قليلاً؟

ـ أوه.. سأبقى هنا..

ـ في حال مت من الاهتياج؟ لا يمكنك تخصيص نفسك لي ليلاً ونهاراً.. هذا غير منطقي!

ـ لقد وُظفت لـ..

ـ أوه.. كلام هراء! قولي لي الحقيقة الآن.. هل هناك من سبب يدعوك للظن بأنني قد أصاب الليلة أو في أي ليلة بصدمة قلبية؟

ـ بالطبع لا تدركين جيداً أن طبيبك مسرور جداً من تقدم

صحتك.

ـ بالطبع أتقدم.. لست بلهاء.. لكنك أنت من بدأ يتصرف كالبلهاء. قلت لك سابقاً بأنني أنتظر أحفادي، وليس هذا السبب الوحيد الذي يجعلني أعيش.. صدقيني! إذا كان هذا سيسعدك أكثر يمكن لسالي أن تبقى معي إلى أن تعودي. أنت متوترة كريشة في مهب ريح.. ومن السيء لي أن أراك متكدرة وكأن نهاية العالم تكاد تصل.. هيا.. اخرجي في نزهة!

ضحكت نيڤين وطبعت قبلة على خد مريضتها.

ـ حسن جداً.. لكن لا تفعلي شيئاً متعباً.. ولا تجعلي قصص سالي عن الفضائح تثيرك!

أخيرتها غريزتها التمريضية أن لا حاجة للقلق. لكن ما إن خرجت من الباب حتى تردّدت.. ووضعت يديها على صدرها في محاولة لتخفيف الخفقان السريع لقلبها.. وكانت ردة فعلها زائدة الحساسية أمام الثقل السلبي في الجو.

ربما كان السبب اقتراب عاصفة كهربائية.. رغم أن السماء كانت مغطاة بالغيوم إلا أنه لا يوجد أي دليل على الرعد.. كانت أشعة الشمس تميل إلى اللون البرتقالي المغشّى وهذا يعيد إليها ذكرى حرائق الأدغال في أوستراليا.. ربما يكون هذا دخانها وقد حملته الريح آلاف الأميال فوق البحر «الشمالي» الأوسترالي..

اتجهت بقلق نحو غرفة نومها.. ربما من الأفضل أن تنام. لكنها قررت فجأة عكس ذلك، فانتعلت حذاءً مناسباً للمشي والتقت بسالي في منتصف الدرج وقالت لها إنها متجهة نحو البحيرة عبر الوادي.. لم يكن لدى اليوت المتسع من الوقت ليأخذها إلى هناك.. لكنه أشار إلى مكان وجودها وهي واثقة أنها ستجدها.

3tt3.net

قالت سالي:

ـ سوف تشعرين بالحرارة والعرق.. إنما لو كان لديك طاقة زائدة لتحرقيها فهذه طريقة ممتازة.. ومن الأفضل لك أن تأخذي معك مصباحاً يدوياً.

وأحست فعلاً بالحرارة والعرق، وقد أعطى تسلق التل الشديد الانحدار لتوترها طريقاً لتصريفه.. إلى أن وصلت القمة حين حلّ الغروب، وكانت مرهقة وشاهدت من تحت شجرة «تيتوكي» غروب شمس غروباً لم ترَ مثله من قبل.. أتون ملتهب من الألوان القرمزية البرتقالية والحمراء القانية والزهرية كانت تختبئ وراء غلالة الليل القاتمة.. وكان القمر خلفها وقبل أن يزول هذا المنظر الرائع ككرة ضخمة منيرة، بعكس الشمس الغامضة. وأصبح الهواء أبرد بكثير.. ودفعت وطأة الجو المتصلبة التي توشك على الاختفاء بنيقين إلى الارتجاف.. كانت البحيرة تتلألأ، فخلعت حذاءها، لتتمتع ببرودة العشب تحتها.. وأمست الوهدة الصغيرة تحت شجرة «التيتوكي» دائرة ظل، ووقفت نيقين تنظر حولها، بينما الدموع تحرق جفنيها.

* * *

٦ ـ الحب شيء ممنوع

ـ نيقين!

شعرت بالصدمة في البدء ولكنها سرعان ما تلاشت عندما تعرفت إلى المتكلم.. مع أن كل ما كانت تراه هو انعكاس أسود أمام ضوء القمر، ظل ضخم يكاد ينذر بالشر.. إلا أنها تعرفت عليه، وجاء مع تراجع الخوف التوتر الآخر الذي نزل بها كالوباء.. ابتسمت وقالت: اليوت!

ثم ركضت إليه تعانقه ففاجأته بعناقها هذا فقال:

ـ ما الذي دهاك الليلة؟

ـ كنت بانتظارك.

قال لها وقد لاحت على وجهه ملامح التردد: «لا أفهم تصرفك غريب».

ـ وما الغرابة إن عانقتك؟.

ـ لا شيء فيك يتبع طبيعة الأشياء المعتادة نيقين.

رفع اليوت رأسها بين يديه، وتفرّس بالاستسلام المذهول في عينيها. وسأل:

ـ متى تستطيعين الزواج بي؟

كان عقلها مذهولاً تماماً، وفغرت فاها ثم أطبقته وابتلعت ريقها متمنية أن تستطيع الإفلات من نظراته الماكرة القاسية.

وقال ببرودة:

3tt3.net

ـ لا . . أنتِ لم تفكري حتى بالزواج . . ماذا في رأسك نيفين؟ مجرد علاقة؟ أنا لست مهتماً بهذا . . شكراً . . لا أستطيع أن أكتفي بمجرد علاقة لطيفة، سريعة وسهلة، وأن نبقى صديقين بعد أن ننتهي دون تحطيم ضلوع . . أحتاج إلى أكثر من هذا . . أريدك أن تتزوجيني.

ـ لا أستطيع الزواج بك فزواجنا خيانة لجوفري.

ساد صمت متوتر، ونشرت أشعة القمر قناعاً جميلاً على وجهه، والعنق القوي، والكتفين العريضتين . .

ـ لو لم يكن هناك تيفاني ولا جوفري، أكنت ستتزوجيني؟

إنه سؤال مشحون، لكنها واجهته وقالت الحقيقة:

ـ ربما . . ولو مع بعض الشكوك.

ـ أي شكوك؟

ـ أنت تقول لي عما تريده أنت، وماذا تحتاج . . دون أن أسمع منك شيئاً عما أريده أنا.

رفع رأسه وكأنها ضربته، وحدق بها . . ولم تعرف ما إذا كان فهم ما تحاول إيصاله له . . وقال أخيراً بصوت مرتجف:

ـ أتحداك . . لو قررت أنك لست بحاجة لي ولا تريدينني سأواجه واقع أنني سأبقى وحدي وأنني جبان.

همست باسمه، فقاطعها:

ـ لا . . فأنا أعني ما أقوله. أنا لم أحتج إلى امرأة من قبل . . ولا أعرف كيف أتعامل مع هذا. لقد حاولت دفعك إلى نوع من الالتزام، وأعرف أنك تظنينني أسوأ الأنذال . . وأردتك أن تغيري رأيك، وكانت الطريقة الوحيدة هي أن أبقيك معي. لذا ابتززتك لتبقي، تصرفت كالأبله لأنني كنت يائساً. ثم تخلصت من غبائي

بمحاولة التأثير عليك لأثبت لك كم أنا محتاج إليك. وظننت أنك قد تخففين من حذرك قليلاً . . فأنت تملكين قلباً عطوفاً.

لم تعرف كيف تستجيب لصراحته التي لا تصدق.

ـ أوه اليوت! عزيزي! أهذا ما تريده مني؟ العطف؟

ـ سآخذ كل ما أستطيعه منك.

لف ذراعيه حولها في عناقٍ حنون مشتت للأعصاب . . فأسندت وجهها على عنقه لتصغي حالمة إلى ضربات قلبه المنتظمة.

قال في أذنها:

ـ تكمن المشكلة معك أنك عاطفياً لا تزالين في السابعة عشرة من عمرك، أي يوم مات والدك. أليس كذلك؟

جعلها نوع من الذعر دون حراك، وكان صوتها حين تكلمت بالكاد يسمع: أجل.

ـ وبعد سنة أمضاها مع تلك المرأة.

هزت رأسها، فأكمل:

ـ أحب طريقة تحرك تجاعيد شعرك . . كيف أحسست نحوه نيفين؟ ما كانت مشاعرك ساعة نظرت إليه؟

ـ في البداية كرهته . . لكنه جلس شاحب الوجه يائساً يموت ببطء . . وكل ما استطعت أن أشعر به هو الشفقة اللامتناهية.

ـ و . . . ؟

ـ ونوع من الازدراء.

ـ ووقتها قررت أن لا تلعبي في الحب؟

دفعته عنها، لكن قبضته كانت قوية:

ـ لا تحاول تحليلي نفسياً! ألا يمكن أن تتقبل بأن لا مستقبل لنا معاً؟

3tt3.net

ـ لا . . لن أتقبل هذا . . لدي احترام لأخيك أكثر من أن أصدق بأنه يفضّل أن يراك حبيبتي بدلاً من زوجتي .

ـ سيغضب ويمرض لو عرف أنني أقيم هنا . إنه ليس رجلاً محنكاً يعرف الدنيا كما أنت ، تتبادل النساء مع أصدقائك و . . .

قاطعها ببرود شديد :

ـ من الأفضل أن تتوقفي هنا .

أحست للحظات بالعدوانية الفجة فيه وبالمقاومة التي يمارسها كي يكبح تلك العدوانية . وقالت حين استعاد سيطرته على نفسه :

ـ أنا آسفة . . كانت هذه ضربة ممنوعة .

ـ وغير حقيقية . .

قاطعته :

ـ أعرف هذا .

ـ حسن جداً إذن . . نيقين أنا أحبك .

كاد الذعر يدثرها . . فهمست تحاول بيأس أن تهدىء صوتها :

ـ لا أصدقك . . ولن أتزوجك . . فلا تطلب هذا مني .

ضحك ثم تنهد .

ـ إذا أردت علاقة بيننا سنضطرين إلى الزواج مني .

قالت وهي تأمل أن تجرحه :

ـ لن أتزوجك فهذا سيقتل جوفري .

خطت مبتعدة عنه ، متجهة إلى الطريق التي تمر قرب جدول المياه المسرعة . . لكنه لحق بها قبل أن تبتعد بضع خطوات .

قال بمنطق :

ـ أستطيع أن أفهم كراهيته للأمر في البداية . . لكنه رجل عاقل ، ولا شك يدرك أنني لم أكن أعرف أنها زوجته وإذا كان لا يدرك هذا

فأنا واثق من قدرتي على إقناعه . . أنت تستخدمينه كمجرد عذر لأنك خائفة من الالتزام .

دفعتها حمايتها الذاتية لتتجاهل اتهامه .

ـ إنه ما يزال يحبها . . اللعنة عليك ! كيف تظن أنه سيتصرف في كل مرة يفكر فيها بي وبك .

ـ أوه . . لأجل الله نيقين . . لا شك كان يعرف أن زواجه لم يكن ناجحاً وأحد الأشياء التي قالتها عنه أنه جاءها في وقت كانت تحتاج فيه لمن يحميها . . ورجل لا يعرف متى تشعر امرأته هكذا رجل لا إحساس له .

ـ وماذا سيغيّر هذا في حبه لها ؟ كيف ستشعر أنت لو ذهبت أنا مع . . ذلك الرجل الذي التقيناه عند عائلة ترومبل ؟ ريتش براندون ؟ كيف ستشعر ؟

ـ سأقتله .

ـ وأنا ؟ هل ستقتلني أيضاً ؟

ـ أنتِ ؟ أوه . . لا . . لن أقتلك أبداً . . لكنني سأجعلك تتمنين الموت مرات ومرات . . نيقين .

همست مذهولة من قساوة وجهه البدائية :

ـ أنت مجنون !

ـ لا . . لا . . ولا تنظري إليّ هكذا . . آه نيقين . . ماذا تفعلين بي ! أنا آسف حبيبتي . . يا إلهي . . كل هذه التهديدات . .

رفع يدها إلى فمه ثم وضعها على خده وكأنها طوق نجاة . وبدا معذباً وعيناه مغمضتان . . ثم قال :

ـ كانت هذه ردة فعل متوحشة . . أعرف أنك لن تخونيني كما فعلت تيفاني بأخيك . . فلديك الشجاعة والصدق . . وأنت لي . .

3tt3.net

يجب أن لا تلعبي مع قوى لا تفهمينها تماماً.. هذه ليست لعبة نيڤين..

حرّرت يدها منه وردّت بغضب:

ـ لقد كانت لعبة بالنسبة لك حتى الآن!

ـ أنا مسرور لإدراكك أن الأمر الآن مختلف بالنسبة لي.. ولا تحاولي تغيير الموضوع حلوتي. تعرفين أن ما بيننا شيء أقوى من القدر وأنه قوة ملزمة، سحر.. لقد رأينا بعضنا، وعرفنا بعضنا، بكل بساطة. ولو أنك لم تعرفي هذا، لما كنت تجاوبت بذلك العنف يوم رأيتني مع نيفاني.. ولما سمحت لنفسك بالرضوخ إلى ابتزازي والبقاء هنا معي..

انتزعت نفسها منه والتقطت المصباح اليدوي وركضت إلى الأسفل عبر الممر ما بين الصخور والأشجار، واصطدمت يدها الحاملة للمصباح غير المضيء بجذع شجرة قاسية فشهقت، لكنها لم تتوقف إلى أن خرجت من الغابة الصغيرة وأخذت تركض فوق العشب الندي في الحقل الصغير.. وأبطأت سيرها مع تلاشي حدة ذعرها ولحق البوت بها في خطىً ناعمة.. كان قريباً جداً طوال المسافة مع ذلك لم تسمع خطواته.

صاحت وهي تتابع سيرها:

ـ ماذا تعني أنني ما كنت لأبقى هنا؟ لقد جعلت من المستحيل عليّ أن أرحل، لقد ابتززتني!

ـ وهل أزعجتِ نفسك بطرح سؤال على أخيك علّك تتحققين من صحة تهديداتي!

رفعت بحذر نظرها إلى قسماته الخالية من الرحمة.. وعاودها الإحساس بأنها عالقة في الفخ مجدداً.

ـ ألم يكن لابتزازك أي أساس؟

بدا نادماً:

ـ بلى.. أخشى أن يكون له بعض الدعائم، فأنا لا أطلق التهديدات التي لا أستطيع تنفيذها.. لكن حين تركتني أنجح في ابتزازي عرفت أنك تقبلت أننا لبعضنا.. فالمرأة العصرية لا تسمح لنفسها أن تبتز هكذا.

ـ لكنني أحب جوفري.

هزّ رأسه وحاول أن يتكلم، لكنه تراجع..

كان المنزل مظلماً حين شاهداه، وقالت نيڤين:

ـ يا إلهي.. قلت لأمك إنني لن أتأخر.

وسارعت الخطى.

ـ لا بأس عليك.. لا يمكنك رؤية نافذتها من هنا.. وربما لا تزال مستيقظة.

سارع بالرغم من هذا إلى مساعدتها لتصعد الدرج. وكانت سعيدة لدعمه لها.. وقالت بصوت متخفض:

ـ سأتحقق من نومها.

تركته يتبعها، ثم همست متمنية له ليلة طيبة خارج غرفتها، فضحك وحاول معانقتها.. فهمست:

ـ لا.

ـ بلى.. والآن اذهبي إلى الفراش.

استيقظت في الصباح التالي وهي تفكر فيه.. ولكن سرعان ما غادرت سريرها.

كانت السماء في وقتٍ ما خلال الليل قد تلبدت بالغيوم، وأمطرت حوالي الفجر بصورة عنيفة حادة.. الآن، كان هناك ضباب

3tt3.net

فوق الحديقة والوادي وكانت الطيور تسعى وراء قوتها في المرعى، متجاهلة القطتين الكبيرتين المستلقيتين قرب الكاراج. كان الباب المفتوح دليلاً على أن البوت رحل.. واستدارت نيفين تحارب خيبة الأمل.. كانت تأمل أن يودعها على الأقل.

قالت السيدة هولاغ عند مائدة الفطور إن البوت لن يعود قبل بضعة أيام.

ـ إنه في طريقه إلى طوكيو.. ألم يقل لك هذا ليلة أمس؟.

ـ أنا.. نحن.. تكلمنا في أشياء أخرى.. ولا بد أنه نسي.

كان يوماً مليئاً بالإحباط، وردّت نيفين بعد الفطور على مكالمة هاتفية من غي براندون التي سرعان ما سألت عن البوت.. فقالت نيفين برضى وسرور:

ـ آسفة، إنه ليس هنا.

ـ أوه.. من المتكلم أرجوك؟

ـ نيفين ستيوارت.

ساد صمت قصير قبل أن يقول الصوت اللطيف:

ـ أوه.. طبعاً، التقينا عند عائلة كروموبل. كيف حالك؟ أخشى أن يكون لي ذاكرة سيئة، لقد أدركت لتوّي أن اليوم هو يوم سفره إلى اليابان. قال لي هذا منذ أيام لكن يبدو أن الوقت يزحف مسرعاً!

أنهت غي مكالمتها مبدية أملها أن تلتقيا مرة أخرى قبل أن ينتهي عملها.. لكن معرفة نيفين أن البوت كان يرى الفتاة جعلها متوتّرة غاضبة.. وهاجمت تحت إشراف السيدة هولاغ الأعشاب الضارة في الحديقة بشراسة أدّت إلى كسر ظفرين من أظافرها وإلى جرح راحة يدها.

قالت لها السيدة هولاغ دون تعاطف:

ـ ارتدي قفازين، هذا ما أفعله أنا دائماً.

ـ يداي لا تعملان جيداً في القفازات.

ـ ستعتادين عليها.. هلا أخذتني إلى الطبيب في الغد؟ على سالي أن تذهب إلى طبيبنا المحلي لذا لن تتمكن من أخذي.. يمكنني الاستعانة بسائق البوت لكن هذا غير ضروري.

ـ بالطبع سأفعل. فمن يقود سيارة في روما لا يخاف زحام السير في أوكلاند.

ضحكت السيدة هولاغ:

ـ أنت سائقة ماهرة.. سأتناول الغداء مع سيغي بعد أن يفحصني، أتريدين أن أتصل بأمك لأرتب لك موعد غداء معها؟

ـ إنها مسافرة.. سأتصل بأخي.

لم يردّ هاتف جوفري على الفور.. وكانت على وشك إقفال السماعة حين رُفعت السماعة من الجهة المقابلة: جوفري؟

بدا شارد الذهن لكنه عرفها وقال على الفور:

ـ سنتناول الغداء معاً. أيمكن هذا؟ سآخذك إلى.. لا.. ما رأيك بالذهاب إلى «ون تري هيل» سنتناول طعام النزهة هناك؟ هناك محل لبيع المأكولات وهو رائع على الطريق إلى هناك..

هكذا رتبا الأمر. وفي اليوم التالي جاء ليأخذها في سيارته الجاغوار القديمة اللماعة من خارج عيادة الأخصائي، وقادها عبر المدينة المكتظة إلى أن وصل إلى حديقة «كرونوبل بارك» المفتوحة الجميلة، مع بركانها الخامد الصغير، ووجد جوفري مكاناً معزولاً تحت شجرة استوائية وارفة الظلال، أمامها منظر رائع للجهة الغربية من أوكلاند. وهي تفرش بساطاً أخرج سلة الطعام من صندوق

3tt3.net

السيارة وأمرها أن تجلس لينظر إليها.

تفحصا بعضهما بعضاً وقالا معاً:

ـ أنت أكثر نحولاً!

وضحكا فهذه كانت إحدى ألعاب طفولتهما.. رد الفعل المتماثل ذلك.. وأراح هذا الارتباك الذي كان يأكل أعصاب نيفين.

قال جوفري وهو يفتح السلة ليفرغها:

ـ فهمت من أمنا أنك معجبة بالسيدة هولاغ.

ـ أوه.. إنها حبيبة، جريئة، عملية، وعملي معها دون عمل حقاً.. فهي ليست مريضة أكثر مني.

أعطاها جناح دجاجة مشوية وقطعة خبز:

ـ إذن لماذا هذا المظهر المرهق؟

لم تقل شيئاً، وتشاغلت بالأكل قبل أن تسأل:

ـ أكنت تعمل جاهداً؟

ابتسم بسخرية: أجل.

ـ وكيف الحال؟

ـ جيد جداً.. ما بالك حبي؟.

كادت تقول له كل شيء، لكنه بدا لها متعباً حتى أنها لم تستطع أن تزيد من همومه.. وقالت:

ـ لقد رأيت تيفاني في لندن.

ـ حقاً؟ وكيف كان حالها؟

ـ لقد فقدت من وزنها كذلك.

ابتسم ساخراً، لكنه قال بلطف:

ـ عظيم.. آمل أن تهزل تلك الساقطة حتى الموت.. ربما سأحصل عندها على شيء من الراحة.

ـ جوفري! أوه.. جوفري.

تلاشى القليل من الأمل الذي كانت ترعاه، وتحركت كتفاه في عدم اكتراث.

ـ ماذا تتوقعين؟ لست من النوع المسامح. ربما أستطيع أن أقنع نفسي أنها لم تعد تحبني وأنها أحبت ذلك الوغد أبكوت، لكن من الواضح أنها كانت تراني كمحطة في الطريق نحو الثراء.. أما هو فكان لديه العقل الواعي حتى لا يقع في حبائلها.

ارتجفت نيفين بالرغم من حرارة الشمس:

ـ يبدو كلامك مريراً.

رفع عينيه المظللتين بالسواد كعينيها، زرقاوان كعمق البحر، وقال:

ـ إما المرارة.. وإما طريقة أبي في التعامل مع الأمور.. وأنا أفضل المرارة.. لا تقعي أبداً في الحب نيفين.. فهو لا يستأهل الألم.

ـ أيجب أن يكون الحب هكذا؟

أنهى ما تبقى من خُبزه وهي تأكل مربى الكرز، ثم أجاب:

ـ بالنسبة لي أجل، مع من كانت يوم رأيتها؟

ـ كانت وحدها في شقة صغيرة..

ضحك ساخراً:

ـ تخلص منها إذن.

ـ إنها تذهب إلى معهد لتتعلم فن التجميل.

وضعت يدها على ساعده آملة بيأس لو أنها لم تذكر تيفاني:

ـ جوفري.. قالت إنها آسفة جداً.. وأنا أصدقها. أيجب أن تكرهها؟

3tt3.net

استدارت يده لتمسك يدها بشدة، اضطرتها إلى أن تعض شفتها لمنع نفسها من الصراخ:

ـ في هذه اللحظات.. أنا مضطر لكراهيتها.

صمتت لليؤس المكتئب على وجهه.. إنه بحاجة إلى دافع لاستمرار كراهيته.. وهي تجر معها كراهية تمتد إلى اليوت.. صحيح أنها غير منطقية لكن الحب المليء بالغيرة والخيانة ليس أمراً منطقياً كذلك.

قالت بصوت منخفض ناعم: أنا آسفة.

مال إليها يقبّل خدها، وترك يدها ليضغط على كتفيها.

ـ هل أخفتك؟ آسف حبي.. لكنني لا أستطيع أن أكون متعقلاً أو محنكاً في هذا الموضوع.. إنها سافلة وهو خنزير قذر، والشيء الوحيد الذي يبقيني مستمراً، هو نواياي بأن أبرهن يوماً لكليهما أنني لست الزوج المخدوع الضعيف الذي يؤمنان أنني هو.

***

٧ ـ أتى ومعه قلبها

أكملا بصمتٍ ما تبقى من الطعام.. فامتص الهدوء والسكون شرارة التوتر بينهما. وبدأ جوفري بعد قليل بإخبارها عن اختراعه الجديد، والخطط التي يضعها من بدعمه لتسويقه.. وسألت تيفين بعفوية:

ـ أكان بمكنك أن تنقّذه دون الدعم؟

ـ ربما، لكن سيكون هذا أمراً صعباً جداً.

ووصف لها حين شعر باهتمامها العملية التي يحتاجها مثل هذا الجهاز لإنقاذ الأرواح للوصول إلى السوق بأرخص سعر ممكن. وأكمل:

ـ لست رجل أعمال. لكنني أتعلم.. لدى هؤلاء الناس صلات في كل أنحاء العالم وإمكانية كبرى للوصول إلى المعلومات والمال. وهذا ما وفّر لي كمية كبيرة من الجهد والوقت، وهو أمر ثمين، فكلما أسرعت في إنجاز هذه الآلة ووضعتها قيد الاستعمال كان هذا أفضل للبدء في إنقاذ أرواح الناس.. وتبغي كل شركات الطيران في العالم شراءها!

خبأت قلقها العميق بشيء من المزاح: أخي عبقري!

ضحك:

ـ بالكاد.. فأنا جديد على عالم الأعمال، إنما من المذهل لي رؤية كيفية تحريك الأعمال لشيء كهذا.

3tt3.net

ـ ألديك أفكار لاختراع قادم؟

ـ أجهزة لايزر.

وطفق يُلقي محاضرة عن استخدامها والتوقعات لها، وأذعل تيقين مجرد التفكير بها دون فهمها وقالت غير صادقة:

ـ فهمت.

ـ لا أعتقد أنك فهمت، لكنك مستمعة ممتازة. هيا أنهي قهوتك، وإلا أبقينا سيدتك المتسلطة منتظرة.

ـ ليست متسلطة.. وأنا أحبها كثيراً.

ـ تبدو لي متسلطة فهناك من يستنزف الدم من وجهك.

رتّب ما تبقى من الغداء في السلة ووضعها في السيارة، بينما نفضت تيقين البساط وطويته.

قال وهما يغادران الحديقة العامة:

ـ تمتعت بهذا الغداء يجب أن تكرّر هذا. متى ينتهي عملك؟

ـ لقد وعدت أن أبقى لثلاثة أشهر.. أيمكن أن نسرع قليلاً؟ لقد تأخرت.

ـ وبعدها؟

ـ سأعود إلى التمريض حسب ما أعتقد.. إنني أفكر بالأمر جدياً..

أدرك أنها لا تريد بحث مستقبلها، فتحدثا عن أشياء لا أثر لها في حياتهما إلى أن وصلا إلى عيادة الإخصائي.

ـ أدخل إلى موقف السيارات بجانب البناء.. سيارتنا هناك.

وكان هناك الإخصائي الشهير الذي يقود سيارة رولز فاخرة ويساعد السيدة هولاغ لتخرج منها.

قالت تيقين بابتهاج:

ـ هذه هي.. وداعاً.. اعتني بنفسك.

لم يردّ، أو بالأحرى كانت تيقين مسرعة في الخروج من السيارة ولم تسمع ردّه، ثم سمعت صوت سيارته تستدير لتخرج من الموقف، فلوّحت له مودعة ومبتسمة وهي تتجه بسرعة إلى ربة عملها.

استعادت في المنزل، «هنترقاني»، صورة وجه جوفري القاسي وهو يقود مبتعداً. كان مكتئباً، وكادت تبكي لأجله.

أما عن نفسها، فقد اغتال الهجر النوم في عينيها وبقيت لساعات مستلقية على ظهرها في الظلام تحدّق بعينين متألمتين بسقف الغرفة الجميلة، وتجبر نفسها على تقبل واقع أنها لن تتمكن من الزواج باليوت. لا يمكنها أن تبني سعادتها على حساب تعاسة أخيها جوفري.. فينظر إلى حبها على أنه خيانة.. وهو ليس في مزاج يسمح له أن يكون منطقياً حول أي شيء له علاقة باليوت.. لقد أخافها حقاً برغبته الشرسة بالانتقام.

ماذا لو اكتشف جوفري أن اليوت هو من وراء تلك المؤسسة المزعومة التي تدعمه؟ لا.. فما من فرصة لهذا.. لا شك أن اليوت دفن آثار مشاركته بدقة لأن جوفري ليس بالأحمق.. فلو كان هناك أي أثر لوجده.. لكنها لن تستطيع فعل شيء لتخفّف من إحباطه.. ربما حين يخفّ غضبه قليلاً.. و..

قد يستغرق سنوات.. فهل سينتظر اليوت؟ إنها غير واثقة ما إذا كان يريد حقاً الزواج بها، أم أنه يجد هذا مجرّد رمز للاستسلام.. ربما كان يكره حبها لجوفري.. ويبدو أنه غير قادر على فهم عمق المشاعر التي أثارها في نفس جوفري لأنه لم يحب يوماً بنفس الشدة.

3tt3.net

جوفري مجروح من الألم ولم تفكر نيثين بهذا جيداً من قبل. الآن، وخلال الليل الطويل، تفحصت الفكرة بعجب.. لكنها أحست أنها محاطة بواقع أنها هي أيضاً لم تحب من قبل.. لذا لن تستطيع التعرف إلى الحب عبر الآخرين.

همس صوت في داخلها: لكنك تحبين الآن.

وكيف لك أن تعرفي؟ كيف تعرف أن ما تحس به ليس أكثر من مشاعر عابرة.

وأخذت بينما هي مستلقية في سريرها ذي الأربع القوائم المرتفعة والنجوم تدور في مساراتها تسبر غور أعماق مشاعرها، وتتفحص خيوط الحب، الحنان والخوف، الاحترام والاهتمام.. تلك الخيوط التي تلتف في بعضها لتنسج شباك الحب.. وصمّمت عند الفجر أن زواجها بأليوت سوف يؤلم جوفري، لذا لن تتزوجه. إنها تريد لشقيقها أن يكون سعيداً.. الأمر هكذا ببساطة.

لكن، ومع تقبلها لهذا الواقع، لم يكن هناك شيء تستطيع أن تفعله. يعتقد جوفري أنه أحبّ تيفاني.. ولسوف ينزف قلبه لو تزوجت أخته من الرجل الذي انتزع تيفاني منه.

كانت تتساءل طوال اليوم وهي تنتزع الأعشاب المضرة في الحديقة، وتساعد سالي في تنظيف الفضة، وتتعلم أسرار صناعة مربى التوت البري، ما إذا كان هناك من طريقة للخروج من هذا المأزق، بحيث لا يلزمها الانتظار لسنوات طويلة كي يتغلب جوفري على أوهامه وآلامه.. لم تشعر يوماً بمثل هذا الضيق.. وهذا ما أزعجها وأخافها.

ولاعبت نفسها بعد العشاء بأوراق اللعب لثلاثة أشواط كسبتها جميعاً.. وخرجت عند هبوط الظلام إلى الحديقة عبر الأبواب

الزجاجية.. وسرعان ما استدعاها صوت سالي لتعود:

ـ الهاتف!

وكان البوت بصوته الواضح والقريب حتى أنها ظنته قد عاد، وسألته ببلاهة:

ـ أين أنت؟

ـ في غرفتي بالفندق، في طوكيو.. هل اشتقت إليّ؟

ـ أوه..

صمتت قليلاً ثم أردفت قائلة:

ـ أمك بخير، أخذتها إلى..

ـ لقد تحدثت إليها. أريد أن أعرف كيف حالك أنت؟ ألست مشتاقة إليّ ولا قليلاً؟

ردّت بسرعة: بالطبع لا.

واضطرّت إلى تحمّل ضحكته الساخرة.

ـ أحبك حين تحاولين تحجيمي.. وهذا يعني أنني على صلة وثيقة مع قلبك.. ماذا كنت تفعلين اليوم؟

أخبرته فسأل:

ـ أتحبين العمل في الحدائق؟

ـ لطالما أحببت الحدائق وأمي خبيرة بها.

ـ عظيم.. أمك وأمي سيكون لديهما أشياء كثيرة مشتركة.. أترغب أمك أيضاً أن تدفن تحت شجرة من اختيارها كذلك؟

كبحت ضحكتها، لكنه سمعها وضحك بدوره قبل أن يكمل:

ـ إذن أنت لم تضجري؟ تجري أحداث كثيرة بمنزلنا في الوقت الحاضر.

ـ أعرف. أخبرتني سالي.. وقد توافد العديد من أصدقاء أمك

3tt3.net

يزورونها.. إنهم لا يبقون كثيراً لكنهم يسلونها.

أكّد لها صوته المتسلي:

ـ أليست رائعة؟ كيف كان جوفري؟

قطبت..

ـ كيف عرفت.. أوه.. أخبرتك أمك. بدا لي بحالة جيدة. فقد خسر قليلاً من وزنه.. لكنه يبدو بخير.

ـ أشعر بالطمأنينة لمعرفتي أن مخلوقاً متحفظاً مثلك هو في الواقع شقيقة مخلصة.. هل السبب أن علاقتكما طبيعية وسهلة؟

ـ أنا أحب أمي أيضاً.

ـ رباط آمن آخر.. إذن جوفري بخير.. جيد.

ـ لكنه حزين ومحبط..

ـ توفر المرارة دعماً مناسباً حين تصعب الأمور.. وسرعان ما يتخلص منها.

عضّت على شفتها:

ـ آمل هذا. وأخشى أن لا تكون مقدّراً تماماً مدى عمق مشاعره.. ولا يبدو لي أن هذا مجرد داعم.. بل هو دافع في الواقع.. يريد أن يثبت..

وصمتت بعد أن أدركت أنها على وشك فضح أخيها، لكنه التقط ما تعنيه.. وقال مفكراً:

ـ صحيح؟ يا حبيبتي الصغيرة والمسكينة.. أظن أننا يجب أن نفعل له شيئاً.

ـ لا!

قال بصوت محسوب:

ـ أنا في الواقع لا أميل إلى إيذاء الناس يا نيفين ولا إجبارهم

على الإفلاس، إذا كان هذا ما فكّرت به..

ـ لا..؟ فالابتزاز طبعاً هو المسموح به.

ساد صمت متشائم، ثم قال بخفة:

ـ أنت لا تخافين بسهولة.. صحيح؟ أنا آسف.

ـ وأنا كذلك.. فقد بالغتُ بردة فعلي.

ـ إنها قصة علاقتنا.. لا بأس، لقد اعتدت على طريقتك في إساءة الظن بي.. كاعتقادك بأنني على استعداد لأن أؤذي أخاك.. كل ما آمله أن تعارفنا أكثر سيخلصك من مثل هذه المفاهيم الخاطئة.

قالت مترددة:

ـ اليوت؟

ـ نيفين؟

ـ أنا آسفة.. لأنني لم أصدق فعلاً.. أعرف أنك لن تفعل شيئاً لجوفري.

ساد صمتٌ قصير آخر:

ـ بل أنوي أن أفعل شيئاً يا حلوتي.. فأنا أعتبره مصدر إزعاج.. وسأعمل لأتسبّب له ببعض الألم. على أي حال سأستخدم سبباً جامعاً، سيكون هذا بمثابة مصالحة. لقد اكتفيت من رؤيتك ممزّقة إلى قسمين.. إنما عديني أن لا تغادري المنزل قبل أن أعود.

ترددت، وهي تحصي بأصبعها الأرقام التي تصلها بأمها ثم قالت:

ـ لا.. لن أرحل.

تدرك نيفين مشكلتها وهي تعرف مدى قدرته حين يكون بلا رحمة، فكل ما فيه يدلّ على سلطة قاسية لا تلين.. رجل استطاع

3tt3.net

شق طريقه في غابة عالم السلطة والمال ليبني لنفسه امبراطورية يجب أن يكون قاسياً وذكياً. وضعف منه أن يعمد إلى الابتزاز ليقوم بالاحتفاظ بها..

لكنه على أي حال لم يحاول أبداً فرض نفسه عليها بالابتزاز.

لاحظت باصبعها بعد أن علقت السماعة ملامح تمثال رخامي لفينوس فوق الطاولة في الردهة.. وأحست بالذل لاعترافها كم تشتاق إليه..

وسمع هدير محرك لسيارة مسرعة وهي تدخل الطريق الداخلية للمنزل، فرفعت رأسها وتغيّرت تعابير وجهها عند إدراكها الصوت.. تمدد إحساس مثلج في معدتها، وتجلّى في شحوبٍ مفاجئ على وجهها وهي تركض إلى الباب.

كان جوفري في منتصف الطريق عبر الفناء يتحرك جسده الرشيق بتمهلٍ خطيرٍ. أمعنت النظر إليه بعينيها المتسعتين. توقفت فجأة.. ثم عادت إلى الانطلاق، تهبط درجات السلم:

ـ ما الأمر؟ أمي؟ هل من مكروه حدث لأمي؟

أمسك بيدها المرتجفة واستدار بها يوجهها نحو السيارة ليقول بحدة وهو يدفعها إلى الداخل:

ـ لا.. إنها بخير.

أدركت وهو يستدير إلى وراء المقود أنه اكتشف كل شيء.. فاحتجّت باضطرابٍ:

ـ جوفري.. يجب أن أخبر أحداً بأنني سأغادر المكان..

ـ من؟ اليوت آبكوت؟

انتظرت وهو يحضر السيارة للانطلاق، تعض شفتها لصرير عجلات السيارة، وقالت حين وصلا إلى نهاية الطريق الداخلية

تقريباً.

ـ لا.. إنه مسافر الآن.

ـ يا للأسف! هذا يعني أنني لن أستطيع تحطيم وجهه هذه المرة.

نظرت إليه وقلبها يخفق بسرعة وألمٍ للتعابير المرتسمة على وجهه.

ـ إلى أين تذهب؟

ـ إلى خارج أرضه.

لم تقل شيئاً إلى أن استطاعت أن تقول إنهما خارج حدوده.. وبدا أنه لم يسمع شيئاً.. وخرج في فسحة مناسبة عن الطريق، وأوقف المحرك، ينظر من الزجاج الأمامي إلى الأراضي الريفية أمامه.

بقيت نيفين صامتة إلى أن سألها:

ـ أخبريني الآن.. لماذا تعيشين معه نيفين؟

ـ لأن أمه «السيدة هولاغ» تستعيد عافيتها من نوبةٍ قلبية.

ـ أهي المرأة التي ذكرها لي بول ماريون؟ والتي أخبرتك عنها؟

ـ هي نفسها.

لم ينظر إليها، لكنها أحست بارتياح في جسده المتوتر:

ـ هكذا إذن.. ولماذا لم تتركي العمل بعد أن اكتشفت حقيقة أمرها؟

ـ لأنني وعدتها بالبقاء إلى جانبها..

ـ ولأنك تحبين ابنها.

ـ لا..

لم تجرؤ على أن تعترف بمشاعرها تجاه اليوت.. فهي تعرف

3tt3.net

أن هدوءه الخطير يعني عدم سيطرته على نفسه.. وأكملت بوضوح:

- إنها مريضتي جوفري.. ولو عرفت من هي لما قبلت العمل.. لكنني لم أكن أعلم.. وما إن وافقت لم أستطع التراجع لمجرد أنها والدة البوت أبكوت.

بدا هذا كلاماً معقولاً.. وجلست متوترة وهو يلعن البوت بشدة وانتظرته إلى أن سألها:

- أتحبينه؟

- لا.

كان وقع الكلمة عليه في الصمت المخيف واضحاً وبارداً، تبعه نفاد الصبر.. إنها كذبة، مع ذلك صادقة.

ولتمتم أخيراً وهو يدير رأسه عنها محرجاً:

- آسف.. يا إلهي كم أكرهه.. أتعرفين بأنه هو من قدم المال لدعمي؟

أرادت للحظات أن تكذب لكنها لم تكن تثق بصوتها فهزت رأسها إيجاباً.

- لقد عذّبك بهذا.. أليس كذلك؟ حسناً.. ما من طريقة للخلاص.. لكنني سأجعل هذا الخنزير يدفع الثمن غالياً.

- كيف؟

لم يردّ.. فقالت بإلحاح:

- جوفري.. كيف؟ يجب أن لا تفعل شيئاً غبياً..

التفت إليها وهو يبتسم ابتسامة شاحبة:

- لا تقلقي.. أعرف أن لا شيء يسعده أكثر من الخلاص مني ولست غبياً لأعطيه هذه الفرصة.. إنه نذل ذكي وقد غلبني هذه

المرة.. لا شك أنه ضحك كضحكة الصياد حين التقطت السمكة الطعام في الصنارة المدلاة لها بكل خبث.

ضرب المقود:

- حسن جداً.. لقد حصل على ما يريده مني. سآخذ كل المساعدات التي يعطيني إياها، وحين أكتفي سأتحرر منه وبإمكانه ساعتها نصب شباكه لسمكة غبية أخرى أو أن يستغفلها.

ألم عذابه يقين كثيراً.. ورغم أنها ارتجفت أمام هذا الحقد الفج، إلا أنها لم تجرؤ على إظهار أي تقدير لأبوت.. فجوفري بحاجة إلى كراهيته ليغطي ألم فقدانه لتيفاني.. وحين يخفّ كما هي عادة الألم دائماً، فبكل تأكيد سيخفّ حقده كذلك ويتوارى مع الوقت.

قال بعد لحظات:

- أنا آسف لخشونتي.. لا بد أنني أخفتك كثيراً.

- أجل أخفتني.. هل أدركت الآن لماذا لم أخبرك؟

- كاد يُغمى عليّ بالأمس حين شاهدت والدته.. فقد تعرفت عليها من صورها عن كثب.. ثم تذكّرت أن باول ماريون هو الذي ذكرها لي، وقمت ببعض التحريات.. لم يرغب في أن يقول لي لكنني أقنعته في النهاية.

وضمّ قبضته بشدة.

جمد الدم في عروق نيقين: كيف؟

- أوه.. لا تقلقي.. لم أؤذه.. لقد أخبرني بعد أن وعدته بعدم الانسحاب.

- ومتى كان هذا؟

- منذ ساعتين. لقد ظننته ربح الجولة مرة أخرى.. وأنه لم

3tt3.net

يكتفي بسرقة زوجتي فأخذ مني أختي أيضاً.. فما رأيك فيه؟

جعلتها الغيرة في صوته تجفل، ولم تجرؤ على أخذ وقتها للتفكير.

ـ إنه جذاب جداً.. وقاس، لا رحمة فيه.. ماذا تريد أن أقول؟

ـ إنك تكرهينه حسب ما أعتقد.

ـ هذا غير صحيح.

فكّرت، فيما لو أنه شكّ بشيء، فقد فضّل أن لا يلاحق الأمر، واقتنع بنظرة طويلة متفحصة. ثم قال بهدوء:

ـ أنا آسف.. إذ لا يحق لي أن أتوقع وقوفك إلى جانبي في معركتي.. سأعيدك.

ـ فكرة جيدة، تبدو بحاجة إلى القهوة..

ـ أنا لا أريد أن أضع قدمي في حدود أملاكه.. فما بالك بالقبول بأي نوع من الضيافة..

لم يفتقدها أحد، أو أنهم إذا لاحظوا غيابها لم ينزعجوا منه. كانت سالي مع السيدة هولاغ في غرفتها، وسمعت تيڤين حين كانت تقطع الحديقة صدى صوتيهما يأتي خفيفاً ويصلها عبر الهواء المليء بالرائحة الطيبة.. لا شك أنهما مشغولتان في التخطيط للمنزل الجديد.

كان من أكثر الأصوات بعثاً للحزن صوت نقيق الضفادع المتمركزة في بركة للزنبق المائي، كانت تشكّل «كورساً» ويغنّي البعض منها معزوفة درامية محزنة.. أحست تيڤين بالدموع تنحدر على خديها مُرّة كالعلقم.. وانهارت على مقعدٍ تحت شجرة صفصاف، وخبأت وجهها بيديها تبكي وكأنها خسرت الشيء الأهم في حياتها.

ما أسخف أن تبكي لمجرد أنها أرادت تحقيق حلم رومانسي ولم تنجح فالحياة الحقيقية لا تحمل شبهاً بالقصص الخيالية.. لهذا كان الرومانس محبوباً، فهو يحول اللون الرمادي لكل يوم في الحياة إلى ألوانٍ برّاقة.

ودخلت المنزل في وقتٍ متأخرٍ، وكانت سالي لا تزال صاحية.. ونظرت إلى تيڤين نظرة متفحصة، فسألت السيدة هولاغ:

ـ هل وصلتك أخبار سيئة؟ أخوك؟ أكان هو في السيارة؟

ـ أجل، كان هو.. ولا، ليس من أخبارٍ سيئة.. أعتقد أنني اشتقت إلى منزلي.

فردّت عليها سالي:

ـ أوه.. هذا يحصل لنا جميعاً.. اصعدي الآن لتنامي وسأجلب لك فنجاناً من الشاي الساخن.

ـ هذا لطف منك.. لكن لا تزعجي نفسك. لا أحتاج إليه حقاً.

ـ بل يبدو عليك أنك بحاجة إلى شيء أقوى.

عادت تيڤين إلى غرفتها ووجدت بعد أن استحمت وبدّلت ملابسها صينية تحمل إبريق شاي صغير وكأنه ينتظرها.

لاحظت مع الصباح أن كل خطوط التعب قد غادرت وجهها.. وتعلّمت تيڤين خلال اليومين التاليين عدة أشياء حول نفسها.. إحداها حول إمكانية الظهور بشكلٍ طبيعي. أما الآخر، فهو أن تكون مرحة وراضية قدر المستطاع، فهذا يخفّف حدة الألم ويبعدها عن الميل نحو الإشفاق على النفس.

ولكنها في الواقع لم تكن تنام جيداً فاليوت لا يفارق تفكيرها أبداً وحبها اليائس يجعلها تشعر بإحباط شديد فما أصعب أن يحب المرء من لن يستطيع الزواج به. كيف تحبه وتبقى بعيدة عنه؟

3tt3.net

فاليوت يجري في دمها وروحها وقلبها.

علّقت السيدة هولاغ وهما تتناولان الفطور في صباح أحد الأيام:

ـ لا يبدو عليك أنك تحصلين على نوم كافٍ.. ستذهب إلى المدينة.. حضّري لباباً للنوم، وفستاناً جميلاً لترتديه على العشاء.

كانت أوكلاند بعد هدوء المزرعة صاخبة مندفعة مقلقة. تبرز شقة البوت في بناء سكني فاخر في أحد الأبراج التي تزيّن أوكلاند.

قالت السيدة هولاغ برضى:

ـ تبعد مسافة عشر دقائق عن أوكلاند، ومع ذلك هادئة.. أتعجبك؟

لم يكن بالإمكان أن تكون أكثر تناقضاً مع منزل المزرعة. كانت الشقة تنفس التصميم العصري مع أثاث إيطالي فاخر، مزينة بالقماش العصري الجميل، وبألوان زرقاء وبرونز موشح باللون الشاحب. جدرانها باردة عليها لوحات بارزة ذكّرت نيڤين بأوراق زهرة المانيولا.

سألت:

ـ هل صمّمت هذا؟

ضحكت السيدة هولاغ:

ـ لا.. إنه البوت.. لقد أعاد ديكورها يوم رجع من المملكة المتحدة في العام الماضي.

ـ إنها جميلة.

ـ أنا مسرورة لظنك هذا.. فكرت أنها مُصمّمة لإبرازك أنت.. لشعرك يماثل لون البرونز تماماً هنا. أنا لا أستطيع أن أرى ما يراه هو فيها.. فأنا لا أوافق على أي عملٍ لا يمثل شيئاً، والأزرق هو لون

عينيك. إنه مثلي يمكنه أن يتذكر أي لون جيداً.. وهذه نزعة نادرة.. ومن الأفضل أن تغيري الآن ملابسك إلا إذا أردتِ الذهاب إلى المطار بالبنطلون الجينز.

ـ المطار؟

ـ أجل.. ألم أقل لك إن البوت عائد اليوم؟

ابتسمت متابعة بخبث:

ـ كان يجب أن أقول لك، أو أن أتركك تذهبين لمقابلته وحدك. لكنني أتمتع بالمطارات.. وبما أنني أعرفه جيداً، فسنجد هناك وفداً صغيراً للقائه.. لدينا عشر دقائق للاستعداد قبل وصول السائق.

ارتدت نيڤين الفستان الأزرق الذي سبق أن ارتدته في منزل أسرة كرومويل، وجدّدت زينتها.. كانت تحس أنها مخدّرة، فقد أثّرت عليها الليالي التي لم تنم فيها وسليتها الأحاسيس الطبيعية، وهي تنظر إلى المرآة كانت تحس وكأن جدران الغرفة تطبق عليها.

كان المطار كالعادة مزدحماً، لكن نيڤين لم تسعد برياضتها المفضلة في مراقبة الناس.. هذا أمر سخيف.. لكنها كانت تحس بخوف مرعب من أن تتحطم الطائرة القادمة من طوكيو وهي تحط.. وتوجهنا من الصالون إلى مكان مشرف على أحد مدرجات المطار، وجلست متجاهلة المدرج.

كانت تدور حائرة في دوامة أفكارها التي لا ثمار لها والتي تعذبها. فجوفري ثمين لها.. لا تتحمل صحته الذهنية التعرض لأي خطر يداهمها.. وقد تمرّ سنوات قبل أن يستعيد عافيته بما يكفي ليقبل باليوت كصهر له.. ولن تجرؤ على أن تظل قريبة منه، فهي بقربه لا إرادة لها.

3tt3.net

لكن.. أوه.. حبها له أقوى منها، وأخذ قلبها يغنّي طرباً، فيشتعل وهج النور عميقاً داخل عينيها.. ها هو آتٍ..

ـ أمي..

وقبل أمه قبل أن يلتفت إلى نيڤين التي حاولت إخفاء نفسها وراء مديرين متلهفين للقائه..

قال بعمق: حبيبتي!

وكأنما لم يستطع منع نفسه، فالتفت يده حول مؤخرة عنقها وضمها إليه بقوة.. وفكرت: إنه يدمغها.. وفتحت عينيها..

سألها بلطف بابتسامة تتراقص السخرية فيها:

ـ أكنتِ بخير؟

أحست نيڤين بصمتٍ مشلول حولهما، ورفعت: وأنت؟

انسحبت منه، ولمحت في صوته لهجة متألمة لم تكن فيه من قبل، وأحست أن السخرية تحولت إلى نصر حين تركها..

وعاملها أتباعه بعد هذا باحترام هائل، أوحى لها أن ما من امرأة أخرى عُوملت بهذه الطريقة أمامهم. وارتجفت تشعر أن الجدران ستزداد دنواً من حولها.. لتضيق عليها.

* * *

٨ ـ خيار نيڤين

سافرت الحاشية المرافقة إلى المدينة في سيارة أخرى يتساءلون بلا شك عن الأمر طوال الوقت، ما عدا رجل واحد رمق نيڤين بنظرة حادة غير لطيفة، ثم تجنّب النظر إليها كل الطريق. كان جالساً إلى جانب السائق يتكلم من فوق كتفه ويعطي اليوت ملخصاً سريعاً عن الأحداث ضمن المؤسسة.

حاولت نيڤين وسط المقعد الخلفي، أن تبعد نفسها عن اليوت، فأدرك ما تحاول أن تفعله. لكن ما عدا ابتسامة ساخرة، تركها تتمتع بحريتها الصغيرة.

فكّرت ومساعده الشخصي يتابع كلامه: لا شك أنني مجنونة.. فمجرد لمسة من ذراعه على كتفي تدفعني إلى الانهيار. ولم يؤثر عليه هذا فنظرة واحدة إلى وجهه جعلتها ترى كم هو مرتاح. تمتد يده على ساقه، وأصابعه الطويلة مسترخية، يعلّق بدقة وسهولة، ويسبق تفكيره ما سيقوله الرجل الأكبر سناً. ووجدت نيڤين نفسها تصغي باهتمام. فهذا وجه جديد لأليوت، وهي فضولية تريد أن تفهم كل أوجه شخصيته المعقّدة.. ركزت ملحظة قليلاً، مقدّرة لأول مرة كم أن ذكاءه دقيق وحاد.

كان ومساعده يتكلمان بطريقة مختصرة أربكتها في البداية،

3tt3.net

لكنها بعد دقائق من الانتباه الشديد، فهمت ما يكفي لتتأثر وتخاف قليلاً.

وسمعت بشكل خافت صوت مساعده الشخصي، ورد اليوت عليه. كل ما كانت تستطيع التفكير فيه حركة شفتيه، ولمعان أسنانه البيضاء المتناقضة مع لون بشرته، وأحست بشيء من التردد في كلام الرجل المسن.. وأدار اليوت رأسه ليرد عليه بصوت عميق قاطع. فتساءلت نيفين ما إذا كانت قد تخيلت ذلك السحر الذي بدا لها يقفز منه إليها حين تلامست أيديهما..

ولم يتوقف الاتصال حتى وصلوا إلى موقف السيارات الكامن تحت الأرض في مبنى ضخم وسط المدينة. قال حينها:

ـ سأصل إلى المنزل في السابعة.

ذهب والحاشية تلحق به.. وهمست نيفين:

ـ إنه يبدو كالراعي وهو يقودهم معه.

ردت السيدة هولاغ:

ـ أعتقد أنه راع، كلهم رجال أكفاء لكنه هو من يبقيهم مترابطين.. والآن دعينا نجول قليلاً على المحلات.

شملت فكرة السيدة هولاغ عن التجول قليلاً، بحثاً دقيقاً في محلات بيع الأنتيكات الكبيرة.

قالت تشرح بعد تقديم نيفين إلى مهندس ديكور:

ـ المقاعد الأنتيكية والصوفات الأثرية هي للجلوس فقط، وليست للراحة. استخدميها كزينة لو رغبت بها لكن اجلسي على أثاث عصري.

كان ذلك اليوم يوم تعليم، لكن نيفين كانت سعيدة بعودتهما إلى الشقة.. هذا يكل تأكيد ضعف منها لكنها كانت تريد أن تكون

قرب اليوت قدر المستطاع في الوقت المتبقي لها.

لم يكن هناك.. فاستحمت وارتدت الفستان الذي جاءت به معها.. وخرجت إلى غرفة الجلوس الكبيرة حيث وجدته منتظراً، واقفاً، ونظر إليها نظرة أربكتها، وتوقفت عيناه على وجهها المتوتر.

قال متمتماً:

ـ أتحاولين إثبات وجهة نظر؟ بدأت أعتقد أن ذاكرتي خيالية جداً.. وارتحت لاكتشافي أنها ليست كذلك.

ابتسمت لتُخفي تأثير رؤيتها له على نفسها.. كانت الألوان الأسود لسترة السهرة والأبيض للقميص الذي تحتها، تبرز قوة بنية قسمات وجهه..

سألت بخشونة:

ـ أين سنذهب الليلة؟

ـ إلى عشاء هادىء مع معجب قديم بأمي.

ارتاحت فقد كانت قلقة من مخاطر العشاء العلني. فالشائعات في أوكلاند تميل إلى التنقل بسرعة كموجات الراديو، عدا عن خوفها على جوفري..

سألها:

ـ هل تخجلين من الظهور معي نيفين؟

كان السؤال ناعماً، منخفضاً، لكنها فهمت مدى خطره وتعمدت عدم فهمه..

ـ لا.. فأنت تبدو أنيقاً جداً.. ووسيماً.. وأنا متأكدة أنك تعرف هذا.

ـ أتعتقدين أنني قردٌ مغرور؟

هزت رأسها تدير وجهها عن العينين الخضراوين والذهبيتين:

3tt3.net

ـ بل أعتقد أنك شخص ذكي.. وتعرف أنني أجدك جذاباً..

ـ لكنك قوية لمقاومة هذه الجاذبية؟

أجفلتها السخرية، وأطبقت جفنيها للحظة فوق عينين محترقتين، لكن حين استدارت لتواجهه كانت قد استعادت تجهمها:

ـ أعتقد أنك تستحق بعض الرضى.. فإذا رغبت سماعي وأنا أعترف، فأقول لا.. فأنا غير قوية لأقاوم وأنت تعرف ما أشعر به نحوك.

قال بوحشية:

ـ هناك شيء ينقص من قيمة المرء لمجرد أن ينظر إليه كمجرد رجل.

ردّت بمرارة أحست بها على لسانها:

ـ لا شك أنك معتاد على هذا.

حدقا ببعضهما بوجهين أبيضين، إلى أن كسر السحر حركة صغيرة عند الباب.. دخلت أمه فهنأها اليوت بلطف ممازح بعيد جداً عن العدوانية التي برزت فيه منذ لحظات.

بدا أن السيدة هولاغ لم تلاحظ شيئاً، مع أن التوتر يكاد يكون ملموساً.. على أي حال، كانت فرصة أعطت لبلين لحظات لتستعيد رباطة جأشها.. وأدركت أن المواجهة تأخرت لكنها لم تُلغ أبداً..

تركتهما السيدة هولاغ بعد أمسية لطيفة في غرفة الجلوس معاً.. وقال اليوت بهدوء:

ـ أتمانعين في البقاء معي قليلاً بلين؟

انتظر إلى أن أقفل الباب خلف أمه وقال:

ـ لماذا لا تجلسين؟ حاولي أن لا تظهري وكأنك أسيرة.. بعد أن أوصلها غاصبها الروماني إلى منزله.

اتجهت إلى مقعدٍ، لكنه أمسك بيدها ليقودها نحو الصوفا، وجذبها لتجلس قربه ليرتاح رأسها على ساعده.. ولم تحاول المقاومة.

قال بلطف وأنفاسه دافئة على جبهتها:

ـ إذن.. أخبريني لماذا كنت فاتنة جداً ومهذبة ومتحفظة جداً هذا المساء؟

ـ جاء جوفري ليراني.

تنفس بحدة:

ـ آه.. وماذا قال لك؟

ـ إنه يعرف كل شيء.

ـ أيعرف أننا نحب بعضنا؟

هزت رأسها نفياً فرفع ذقنها بأصبعه.. وعرفت كيف يمكن لمنافسيه في الأعمال أن يشعروا حين تسحرهم تلك النظرة الكريستالية النافذة.. ولم تقل شيئاً، بؤسها واضح.. كانت ترى وراء تلك النظرة الشرسة المحنكة للرجل العالمي، اليوت الذي لا يشك أحد في أن يراه هكذا.. كان في نظرته الانتصار والتصميم لكن تحتهما اللهيب الثابت لمشاعره الموضوعة تحت سيطرته القوية.

سألها:

ـ حسناً.. ماذا سيحدث الآن؟

رفعت يدها لتضعها على صدره، لتحسّ بالخفقان العنيف لقلبه:

3tt3.net

- سأبقى مع أمك إلى أن يقول الطبيب إنني قادرة على تركها.

أحست تحت راحة يدها بقلبه يتوقف، ثم عاد مجدداً بسرعة هائلة:

- وماذا عنا؟

نظرت إلى وجهه المتعب بتوتر رهيب وقالت بحزن:

- ليس هناك شيء عنا.. سأرحل ولن ترى بعضنا مجدداً.

انحنى رأسه، إلى أن استراح وجهه على كتفها فأخذت تملس الشعر الناعم بأصابع حنونة. يجب أن ترحل طالما أمامها وقت للخلاص.

حين رفع رأسه أحاطت يداها بخديه.. وكان يبتسم، مع أن الوجه المتجهم لم يكن فيه أي مرح.

- هل سمعت يوماً بالايرانيز..؟ إنهن ثلاث إغريقيات، وكن قبيحات: المنتقمة، الغيورة والحقودة. وكن يتحمسن جداً للانتقام من الناس لتجاهلهم صلات القرابة، وأظنك دون شك تجسيد لهن.

خرق التعليق دفاع سيطرتها على نفسها.. أجفلت ألماً، قلبها في عينيها، ورفعت رأسها من على كتفه.. وقالت بخشونة، تحاول تحرير نفسها منه:

- يكرهك جوفري كرهاً أبعد من أي تعقل، سبق أن قلت لك إننا عائلة مهووسة..

- وهل أنت خائفة من الاستسلام إلى ما تريده هوساً. قد لا تدركين هذا لكن جوفري قد يكون مجرّد عذر.. لقد شاهدت والدك وهو يعاني سكرات الموت وأنت خائفة فيما لو اعترفت بحبي هذا من أن يحدث لك الشيء نفسه.

- لقد اعترفت لك بحبي.

- إنه حب من النوع المثير للشفقة، يضع الأخ قبل الحبيب.

كان غضبه بارزاً، لكنه سرعان ما تلاشى.. واشتدت ذراعاه حولها قبل أن تتمكن من مجرد نقل توازنها مجدداً ليعانقها بعنف.. واستجابت على الفور.

علقت أنفاسها في حنجرتها.. كانت تغمرها موجة من السعادة.. لا وزن لها، بقي خدها للحظات مضغوطاً على صدره.. تصمّ أذنيها دقات قلبه المرتفعة.

قال بلهجة مختنقة:

- هذا لا يكفي.

- أنا آسفة البوت.

- آسفة؟ يا إلهي.. وأنا كذلك.

وكان هذا كل شيء.. ولم يكن حين تركها على باب غرفة نومها، متمنياً لها ليلة سعيدة، ذلك الرجل الذي استحوذت عليه مشاعر جياشة قبل قليل. بدا وكأنه لا يُقهر وشكّلت البسمة التي أعطاها لها قبل إقفال الباب عليها قمة السخرية.

نامت متأخرة حتى استيقظت في منتصف النهار، وقفزت بعد نظرة رعب إلى ساعتها من السرير، لتستحم وترتدي ملابسها بسرعة، حتى أنها كانت في غرفة الجلوس قبل أن تتذكر ما جرى ليلة أمس.. وصُدِمت برؤية البوت وحيداً.

توقفت نيلين في مكانها، تنظر إليه بقلق وهو يرفع نظره عن الصحيفة لينظر إليها.. سألته دون إلقاء التحية..

- أين أمك؟

- عادت إلى الوادي، لم تعد بحاجة إليك.

حاولت بشجاعة أن تبدو منتقدة:

3tt3.net

ـ إنها لم تحتجني يوماً.

ـ في الواقع، لا.. إنما وجودك معها للاطمئنان.. تعالي وتناولي الفطور بدل الوقوف بالباب كأنك قطة خائفة..

ـ فطور؟

ضحك:

ـ غداء نصف صباحي إذن.

وكان طعاماً أنيقاً.. قهوة، كرواسان، مجموعة رائعة من الفاكهة.. وقالت متذوقة «الباباكو»:

ـ يا لها من فاكهة مميزة.. من أين تأتي؟

ـ من الأكوادور.

وبدأ يتحدث عن الازدهار الاقتصادي في نيوزيلند في القطاع الزراعي.. واسترخت نيفين ببطء، تصغي إلى الصوت العميق الواثق المتحدث عن التقدم في الصناعة الزراعية في البلاد خلال غيابها.

ـ يبدو وكأن الزراعة تهمك جداً.

ـ أنا أؤمن بمستقبلنا كمصدرين للأطعمة، إضافة إلى التكنولوجيا..

جعلها صوت جرس الباب تقفز.. ونظرت إليه متسائلة غير قادرة على رؤية شيء من خلف قناع وجهه.

وقال بهدوء:

ـ آه.. هات قهوتك إلى غرفة الجلوس.

لكن إحساساً قدرياً، دون تفكير، أبقاها هادئة.. مع أنها كانت تدرك أنه يتجه إلى نوع من المواجهة.. بدا كالفارس الذي على وشك خوض المعركة.. صحيح أنه قد لا يتمتع بها لكن وكأنها

فُرضت عليه ليقوم بها..

قال:

ـ انتظري هنا.. وثقي بي نيفين. أرجوك!

راقبته يذهول يخرج برشاقة من الغرفة، ولم تبارح مكانها إلى أن عاد يرافقه رجلٌ نظر إليها بعينيها هي، فصرخت:

ـ جوفري!

وضعت بحذر شديد القهوة على طاولة رخامية صغيرة.. وكان جوفري يشعر بابتهاج عنيف، بدا لها بشكلٍ لا يصدق وكأنه يتمتع بوقته.. ورقّ وجهه لرؤيته وجهها المصدوم، وقال لها آمراً:

ـ ابتعدي من هنا حبي.

واستدار إلى صاحب البيت.

أحست نيفين بالسقم، لم يكن جوفري قادراً على الانتظار لاختبار قياس قوته بقوة اليوت. بدا لها أن الدم نضب وجف من قلبها وهي تستدير نحو الباب. قال اليوت بلطف:

ـ ابقي حيث أنتِ.

وجمد الأخ وأخته.. بينما ابتسم اليوت، عيناه ضيقتان ومركزتان على جوفري، لكنه قال لنيفين:

ـ تعالي إلى هنا.

ومد يده لها.

وقفت جامدة بينما كان وجه أخيها يلتفت إليها.. قرأت فيه الفهم المفاجيء، وفتشت عن الاحتقار، عن الكراهية.. وأغمض عينيه كأن الذي يراه لا يحتمل.. فخطت نحوه..

قال اليوت بسرعة: نيفين.

تنقّلت عيناها من الأخ العزيز إلى اليوت الحبيب، المكروه،

3tt3.net

والمرغوب.. وتردّدت غاضبة بمرارة منهما معاً. كانا يطلبان منها الخيار.. وكلاهما يعرف أنه مهما كان قرارها فسيجعلها تعيسة.

قالت:

ـ لا شأن لي في هذا كله.. صحيح؟ أنا فقط مركز الاهتمام الذي يناسب كليكما.

كسر الرجلان معاً الصمت القاتل لينظرا إليها. لم تشعر يوماً بوحدتها قدر حالها الآن. ابتلعت ريقها وتابعت كلامها بخشونة:

ـ لكنكما تتقاتلان من أجل تيفاني.

حاول جوفري الكلام، لكنها قاطعت أولى كلماته:

ـ أنت تلوم اليوت لسلبها منك.. ولكنها شرحت لي حين رأيتها في لندن بأنه لم يكن يعرف أنها متزوجة إلا بعد أن تركتك، لذا فأنت تلومه لأن تيفاني فضّلته. كم من النساء رغبن بك؟ أيمكن أن تلام لأنهن نظرن إليك وقررن أنك قد تكون الرجل المثالي؟

بدت خطوط وجه جوفري متألمة.. ولم يقل شيئاً، بدا أنه يرى فيها شيئاً رهيباً لا يصدّق.

قال اليوت:

ـ أتريد أن تعاقب نيفين لقرار اتخذته تيفاني بتركك؟ هل تحتقر أختك كما تحتقر زوجتك الخائنة؟

تقدم جوفري متثاقلاً إلى النافذة، ووقف يحدق إلى الخارج.. وقال بعد صمت طويل:

ـ إذا كانت عشيقتك، أجل.

ـ وإذا كانت زوجتي؟

تذوّقت نيفين طعم الدم المالح، وأدركت أنها تعضّ على شفتيها.. أحست بعجزها أمام المواجهة الغريبة، وهي تراقب

وحشين ضخمين مفترسين يتحضّر كل منهما للانقضاض ليسدد الضربة القاتلة.. أذلاّها بعجزهما غير المكترثة، ولم تكن قادرة مع ذلك على التدخل.. ارتجفت أمام هوة كبيرة تفصل ما بين الذكور والإناث، وأدركت أنهما بطريقة ما في الفريق نفسه ضدها.

ـ ولماذا تظن أنني سأكون أفضل حالاً إن أصبحت زوجتك؟

ـ ربما لأن هذا يعني أنني أحبها.

ـ وماذا تفعل لو سرقها منك أحد؟

لم تكن نيفين لتظن أن هناك توتراً أكثر مما كان في تلك الدقيقتين. لكنها كانت مخطئة.. تردّد اليوت، تأرجح ثقته بنفسه أمام قساوة صدق السؤال الجارح. ولم ينظر إلى نيفين. ولم ينظر إلى أي مكان، بل إلى نفسه.. استدار جوفري عن النافذة.. ورأت على وجهه التهديد والوعيد وقوة إرادته الكاملة، مصوّبة نحو الرجل الذي يكرهه.

كتمت أنفاسها وانتظرت، مدركة أنه إنما يجبر اليوت ليواجه مسألة لم يتوقع يوماً أن يضطر إلى مواجهتها.

وقال أخيراً دون تردّد:

ـ لا أظن أن شيئاً سوى الموت يأخذها مني.. ولو حدث هذا فسألحق بها، فلا أهتم بعالم لا توجد هي فيه.

لكن جوفري كان قاسياً لا يلين:

ـ وإذا أرادت أن تتركك هي.. أن تخرج من الباب، ولا تعود.. ماذا إذن؟

أصبح لون اليوت أبيضاً بالرغم من سمرته، ولأول مرة نظر إلى نيفين.. وكادت تصرخ لما رأته على وجهه:

ـ إذن.. سأضطرّ إلى تركها تذهب.. فالحب لا يساوي شيئاً

3tt3.net

إذا لم يُعط بكل حرية.

من المستحيل أن يصدقه، وخرجت أنفاس نيفين متحشرجة من بين أسنانها واسترخى جسد جوفري الضخم.

ـ أسحب في هذه الحالة اعتراضي.. لكن من الأفضل لك أن تُسعدها وإلا سأردّ على هذا بنفسي.

قال اليوت متعباً وهو يمد له يده:

ـ إنها قادرة على دعوتي للردّ عليها بنفسها.

صافح جوفري اليد الممدودة إليه ثم تقدم إلى حيث تقف نيفين.. لامس خدها بقبلةٍ وقال:

ـ كوني سعيدة.. حبي.

كان من المستحيل عليه كبت مشاعره، وأكدت لها مشاعرها العائلية بأنه غير سعيد.. وتركهما إلى صمتٍ أعمق وأكثر رهبة من ذي قبل، لم تستطع نيفين كسره.. نظر اليوت إليها وذقنه مرتفع إلى فوق ليخفي أي أثر للضعف الذي أجبره جوفري على كشفه.

ـ إذن أنت الآن تعرفين..

أحست بجفاف فمها فركضت إليه متعثرة تحيطه بذراعيها في عناق قوي دافيء.. وهمست:

ـ لا أستحق كل هذا.. ولن أستحقه يوماً.. لكنني أحبك!

ـ صحيح نيفين؟

أدركت مصدومة أنه لم يصدقها وأنه بحاجة إلى تضمينات منها.

أمسكت يده تقودها إلى فوق قلبها الذي كان يهدد باختراق قفصه:

ـ ألا يمكنك أن تحسّ به؟

سجنها في ذراعيه، وقال بمرارة:

ـ لا أقصد هذا.. لقد عانيت عذاباً شديداً، ولم تكن المشاعر الجسدية يوماً هي الأهم في علاقتنا. أردت في أول مرة رأيتك فيها في ملعب الجياد الصغيرة أن أرفعك وأحملك بعيداً لأضيع نفسي في حبك.. ولأجعلك معتمدة بالكامل عليّ. ثم التقطتِ الطفلة، وظننتك متزوجة.. لا أستطيع أن أقول لك بماذا أحسست: «غاضب وحاقد»، وكأنني تعرّضت لصدمة كهربائية، أو لخيانة، وراعني أن أكتشف بأنني كنت أفكر ببرودة بطرقٍ ووسائل، لألغي زواجك أو أبطله..

اتسعت عينا نيفين، بشيء يشبه ذلك الذعر الذي بصفه، وهي تفتش في زوايا وجهه المتشددة.

وأكمل نصف غاضب:

ـ من الأفضل أن تُصدمي.. لأنني صدمت نفسي. كنت حريصاً لئلا أعلق في شباك امرأة متزوجة.. وبدأت ألومك قليلاً لأن مقاييسي الأخلاقية بدأت تهتز.. ثم أخبرتني دبليا من أنت.. وشعرت بالغبطة كشابٍ يدرك أنه سيحصل على فتاة لأول مرة في حياته.

حاولت أن تبتسم، لكنها كانت خائفة من قوة مشاعره وتتألم لأجله:

ـ ظننت أن السيارة هي التي أثارت فيك مثل تلك المشاعر.

وتحركت يداه تلتفان حول كتفيها:

ـ كان ذلك لإنقاذ ماء الوجه.. وأظهرت لي شعوراً مماثلاً بالرغم من أنك كنت خائفة وكارهة.. وشعرت بالارتياح.. ظننت أن الأمر حتى تلك اللحظة سيكون سهلاً.. لكن كل شيء سار في طريقٍ خاطيء، ولم أعد أسيطر على شيء. لم أقصد الطلب منك

3tt3.net

الذهاب معي إلى لندن، لكنك أثرت في بقوة جعلتني أقولها لك، وصددتني، وذكرتني بتيفاني.

توترت للحظة كل عضلات جسدها.. وتنهد بألم يغمض عينيه، وارتجف فم نيقين.

أكمل متثاقلاً:

ـ يا حب قلبي.. إذا كنت سأنال يوماً العقاب على تصرفي مع النساء.. فهذا هو العقاب.. فما بيننا كان مميزاً، وهو خارج خبرتي تماماً ولم أعرف كيف أتعامل معه. كنت خائفاً.. وأدركت أننا نحتاج إلى فسحة للتنفس وإلى وقت لنصل إلى توافق مع فكرة الحب، وكنت أعرف أن الانتظار سيكون جحيماً.. لم أنم تلك الليلة في تشايس.. كنت أدرع الغرفة ذهاباً وإياباً وألعن حظي، وأضع الخطط.

ـ أية خطط؟

ـ قررت أن أنهي علاقتي مع تيفاني وأن أخرجها من حياتي ثم أعود إلى تشايس وأبني أساساً للمستقبل. أمضيت تلك الأسابيع في نشاط محموم.. كان أمامي أعمال أنهيها.. وفكرت بعجرفة أن كل شيء سيسير على ما يرام.. ثم شاهدتني مع تيفاني وانفجرت الدنيا في وجهي.

أسندت نيقين رأسها المتفاخر إلى كتفه، وأخذ يمرر يده على الخصلات الناعمة مداعباً صدغها.. وأحست بالدفء والحنان.

قالت تشده إليها:

ـ لقد أكد لي ذلك اللقاء كل ما صدقته عنك. كنت مؤمنة أنك فاسق، وأنك لا تهتم شرط أن تكون المرأة جميلة.. كنت أغار من كل امرأة تراك وتحس بك.. وأحست حين رأيتك مع تيفاني

بالحرمان فتشوهت كل الأشياء الجميلة أمامي، وغضبت جداً. ورغم كل شيء، كنت يائسة لإدراكي بأن لا مستقبل لنا.. أحسست بغيرة مريرة وغادرة من تيفاني، وأقنعت نفسي حتى أكرهك.

تمتم:

ـ يا إلهي.. كم كان هذا واضحاً.. بدوت مهيبة كآلهة غاضبة. لقد أخفت تيفاني كما أخفتني أنا كذلك!

ضحكت وقالت مع اشتداد ذراعيه حولها.

ـ لم يظهر هذا عليك..

ـ أدركت أنني لو فضحت أمر خوفي فسيكون السوط في يدك، وهذا سيعني نهايتي.. ولم أهتم بتيفاني منذ أن رأيتك. لم أستطع، أخذتها معي تلك الليلة لأن الاتفاق على السهرة كان قد تمّ قبل زيارتي لتشايس، ولم أستطع الانسحاب. وأصرت لسبب ما على المجيء معي مع علمها أن كل شيء قد انتهى بيننا. وكنت في ذلك الوقت قد رتبت لها أمر دراستها وأسكنتها في شقة منفردة..

قالت بجرأة:

ـ أي أنك دفعت لها أجرها!

ـ أجل.

واجهت نيقين الوقائع.. فلا شأن لها بما فعله اليوت قبل لقائها به. لقد استخدمت علاقته بتيفاني لتدافع عن نفسها ضد التجاذب الذي كان يشدها إليه، ومن بعده الحب المتناهي الذي أحست به.. لا يمكنها أن توافق على تصرفاته، لكنها لم تكن ساذجة إلى درجة أن تصدق أنه أقدم على هذه التصرفات لوحده دون مساعدة من أجل رجل في مثل طلته البهية، وجاذبيته المثيرة.

كل ما كان عليها أن تسأل نفسها الآن هو ما إذا كان سيبقى

3tt3.net

مخلصاً وصادقاً معها، ثم أدركت أنها لم تشك يوماً في صدقه.. وكأنما تلك النظرة الأولى الجريئة قد جمعتهما معاً في شراكة تعرفا عليها معاً، وتقبلاها. التزام لا وجود فيه لأي شخص آخر.

قالت ببطء:

ـ أنا كنت خائفة أيضاً، بل جبانة.. كنت أعتقد أن مشاعر بهذه الحدة لا تقود سوى إلى الألم.

رفع ذقنها لينظر إلى عينيها المضطربتين:

ـ كنت أعرف من أحارب.. فلم يكن جوفري وتيفاني سوى أعذار لك، واضطررت لإقناعك بأنك آمنة معي وبأنني لن أخذلك كما حصل لوالدك وجوفري.

أطرقت تتخلى عن الماضي دون ندم، وقالت: أحبك..

كادت تعابير وجهها تنفجر فرحاً، وأجابها متمتماً بتعابير فرحة مماثلة:

ـ وأنا مولّه بك، أعبدك، وأحتاج إليك، وأتضوّر ألماً لأجلك.. أحبك.. وأنا آسف لأنك واجهت مشهداً كهذا مع جوفري، لكنها كانت الطريقة الوحيدة أمامي لكسر العقدة.. كان يجب أن يعرف أنك ستكونين سعيدة معي وأنك تحبينني.. وأنا على يقين بأنه سيذعن متى أدرك كم تحبينني.

ـ وكيف عرفت؟

كانت ابتسامته تسخر بحنان:

ـ لأنه يا حبي يحبك. لقد أدرك أنه لو أجبرك على الاختيار بينه وبيني، لتمزقت باتجاهين.. وراهنت على أنه لن يستطيع فعل هذا، ولقد رأيت كم كنت محقاً.

ـ وهل قامرت على أن محبته لي أكثر قوة من حاجته إلى

الانتقام؟

كانت تهمس السؤال برعب.. فضحك بنعومة:

ـ أجل.. لقد أثبت حدسي.. ولم تكن المخاطرة كبيرة.. لقد راهنت على الولاء العائلي الذي يجعلك متصلبة.. وأستطيع الاعتراف بأنني أعجبت به.. لقد أثقل بعضاً من كبريائه بانتزاع الاعتراف مني.. أحبك وأحتاج إليك، وكم كنت خائفاً أن لا يكون حبي واحتياجي لك كافيين.. المهم أننا خرجنا من هذه المواجهة بشرف متساوٍ.

ـ لكنه لن يحبك، صحيح؟

استجاب لسؤالها الحزين بالحقيقة:

ـ لا.. أظنه سيكرهني دائماً.. إنه رجل قوي الإرادة وصلب، لكنني سأبقى دائماً ممتناً لأنه كان صادقاً وشريفاً. لقد أدرك أنه لا يستطيع الثأر مني على حساب سعادتك.. ولو وقع ربما في الحب مرة أخرى سيزول الوخز من ذاكرته، وبالطبع سيرى كم نحن سعيدين جداً جداً.

قالت حالمة:

ـ أنا سعيدة جداً لأنك تحبني.. كنت يائسة جداً.. ولو عرفت قبل الآن..

ـ لقد عرفت منذ البداية، لكنك لم تعترفي بهذا.

قالت محتجّة للضحك في صوته:

ـ أنت لم تقل لي فعلاً إنك تحبني.

ـ لكنك عرفتِ.

ـ أعتقد هذا.

أعادها إلى ذراعيه:

3tt3.net

- يجب أن أتأكد.

ارتجفت وهو يشدها إليه، يدفعها لتضم نفسها إليه أكثر.. وتنهد معترفاً:

- كان عليّ أن أبرهن لجوفري كم تحبينني.. لكن هذا كان سبله.

أخذ عقلها يذكرها ببعض الوسائل التي كان من الممكن أن يستخدمها في هذا السبيل، فارتجفت وهي تعرفه الآن وتتقبل كم سيكون دون رحمة في إثباته أن حبه ليس ضعيفاً أو مهزوزاً.. وكان يمكن لهذا أن يكون مؤلماً.. رفعت عينيها لتلتقي بعينيه، ولترى لون الذهب العميق قد ارتفع ليختلط بالأخضر.. وتذكرت الملامح المتوترة التي يولّدها الحب على وجهه.. وقال:

- كان عليه أن يعرف أن ما تشعرين به نحوي أقوى من أي واجب أخوي وأقوى من الموت لأنني هكذا أشعر. لم أفكر يوماً أن هذا قد يحدث لي.. كنت مثلك أخاف الحب.. ورأيت هذا يحدث لأمي حين مات أبي.. لهذا تعاملت مع الأمر بشكل سيء.

- أوه.. أعرف هذا.. أنت لا.. لا تستطيع.. النظر إلى شخص وتقع رأساً على عقب في حبه!

ضحك بخبث:

- بالضبط.. ربما نحن وحدنا من فعل هذا.

- سيؤمن كل من يحب بهذا.

- آه.. لكننا نعرف أنها الحقيقة بالنسبة لنا على الأقل.. أما الآن فعلينا ترتيب حفل الزفاف. وقد أتمكن من إبقاء يدي بعيدتين عنك مدة ثلاثة أيام فقط..

أدارت وجهها إلى دفء وأمان صدره.. سعيدة كما لم تكن

سعيدة في حياتها.. مهدهدة بحنانه الذي لم تتوقع أن تجده فيه.

قد يكون أمامهما أوقات كرب.. لكن هذه الثقة ببعضهما وبحبهما ستكون أبدية.

مدت تيفين يدها مبتسمة إلى وجهه لتمسح آخر معالم الخوف بعيداً عنهما..

* * *

liilas
rayqh

3tt3.net